محمد فاضل الجمالي

جهاد في سبيل
العراق والعروبة والأسلام



دار الحكمة

جهاد في سبيل
العراق والعروبة والاسلام

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ / ١٩٩٨م

DAR AL-HIKMA

Publishing and Distribution



دار الحكمة

للطباعة والنشر والتوزيع

88 Chalton Street London NW1 1HJ. Tel: 0171 - 383 4037 Fax: 0171 - 383 0116

محمد فاضل الجمالي

جهاد في سبيل العراق والعروبة والإسلام

مجموعة الخطب والرسائل والمقالات

التي تناولت سيرة الفقيد

الدكتور محمد فاضل الجمالي

بمناسبة

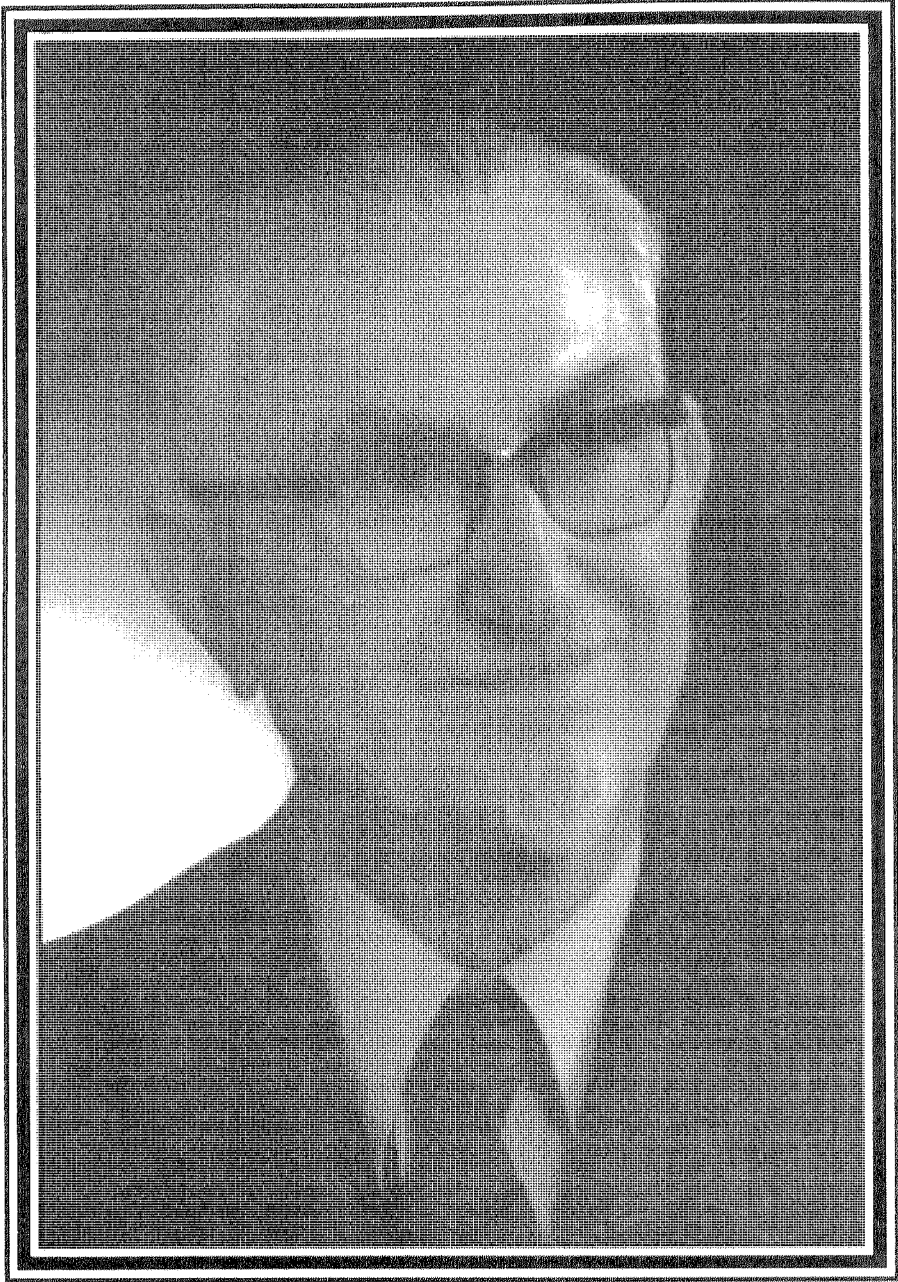
الحفل الاربعين الذي اقيم تأبيناً له

يوم الجمعة المصادف ٢٧/٦/١٩٩٧

في قاعة الجمعية الملكية الجغرافية ـ لندن

دار الحكمة

بسم الله الرحمن الرحيم



الدكتور محمد فاضل الجمالي

مقدمة

كم من قريبٍ نأى عني فأوجعني
وكم عزيزٍ مضى قبلي فابكاني
حافظ ابراهيم

لقد مضى (الجمالي) أحد رؤساء الوزارات العراقية في العهد الملكي الى جوار ربه في (تونس) العاصمة يوم الخميس ١٧ ذو الحجة ١٤١٧هـ الموافق ٢٤ ايار (مايو) ١٩٩٧، فخلف اسى ولوعة في قلوب اصدقائه ومحبيه. وانطوى بوفاته علم من اعلام الفكر والثقافة وصفحة ناصعة من صفحات الجهاد والتضحية في سبيل الحرية والاستقلال والأمن والتقدم للعراق وسائر الاقطار العربية والاسلامية ودول العالم الثالث.

كان (الجمالي) يعيش حياة أقرب الى الزهد والتقشف ينفق مما بيده في اقتناء الكتب ومتابعة الصحف والفنون الرفيعة اكثر مما ينفق على مطاليب الحياة المادية ومظاهرها، مفضلاً العيش ببساطة وترفع وإباء.

وكان رحمه الله متفهما لروح الاسلام وملتزماً بأداء الفرائض الدينية في مواقيتها وبكامل شروطها. يحفظ الكثير من آيات الذكر الحكيم ويحمل دائماً في جيبه والى القرب من قلبه نسخة صغيرة من القرآن للبركة - كما كان يقول - ويرجع اليها مستشهداً بها في الرد على خصومه كلما دعت الحاجة، ويأنس بتلاوتها في وحدته واسفاره.

مكانة الجمالي العلمية ومواقفه السياسية الجريئة وصفاته الشخصية حببته الى قلوب الجميع ممن عرفوه او قرأوا له ولذلك كان الحزن عميقاً وشاملاً بوفاته. وكان على أشدّه بين اصدقائه الذين اعتداوا لقاءه كل صيف في لندن عندما ياتي زائراً لها، ليذهب منها مع قرينته لزيارة ولدهما الكبر (ليث) في احد مصحات (ادنبره).

وتعبيراً عن هذا الشعور وبدافع الوفاء لأخ كريم ورجل كبير اعطى الكثير لوطنه وامته تنادى عدد منهم لاقامة حفل لتابينه في اربعينه جدير بمكانته وخدماته. وبعد الاتصال بعدد من الاخوان والاصدقاءالمقيمين في بلاد مختلفة والذين تجمعهم رابطة المحبة والتقدير للفقيد، تألفت (هيئة تأبينية) وتم تنظيم (منهاج للحفل) يجد القارئ تفاصيلهما في ملاحق هذا الكراس.

لقد انعقد الحفل في قاعة (الجمعية الملكية الجغرافية) في كنسينكتون - لندن مساء يوم الجمعة ١٩٩٨/٦/٢٧ واحتشدت القاعة على سعتها بالمؤبنين الذين كان بينهم عدد من سفراء الدول العربية وممثليها ومندوب الجامعة العربية في لندن ووجوه المجتمع العربي فيها وبعض المفكرين والدبلوماسيين البريطانيين من اصدقاء الفقيد ومندوبي الصحافة ووسائل

الاعلام اما الاغلبية الكبرى فكانت من ابناء الجالية العراقية رجالاً ونساءً على اختلاف مشاربهم ومن بينهم رؤساء الهيئات الدينية والمنظمات السياسية والجمعيات الادبية والمهنية ورجال الاعمال، والجامعيات والجامعيين وغيرهم.

لقد كان الحفل حاشداً مهيباً تمثلت فيه مختلف فئات المجتمع العربي والعراقي في لندن بوحدة وانسجام وتظاهرة نادرة لم تشهد من قبل. فكانت تعبيرا عن بعض ما كان (الجمالي) يدعو اليه طوال حياته من الفة ومحبة ووحدة واتفاق بين ابناء العراق وبين العرب أجمعين. وكان ذلك اعظم تكريم له وعلامة مضيئة على الطريق الصحيح نحو مستقبل افضل للجميع.

لقد نسب الاخوان اعضاء (هيئة التأبين) ان يقوم كاتب هذه السطور بالاعداد للحفل وتنظيمه ولكن لولا جهود ومساعدات عدد من اعضاء الهيئة، لما امكن انجاز ما تم. ومن الواجب ان أشيد هنا بوجه خاص بالدعم والتشجيع الكبير الذي لقيناه في هذا السبيل من سيادة الشريف الحسين بن علي الذي ربطته علاقة ود وصداقة وثيقة بالفقيد منذ ان عرفه في بغداد، فلسيادته فائق الشكر والتقدير.

ولقد ساهم عدد من الاخوان مساهمة مباشرة في تنظيم الحفل وانجاحه وأخص بالذكر منهم الدكتور غسان العطية الذي قام بتحرير ترجمة حال الفقيد وتنظيم منهاج الحفل، والدكتور رغيد الصلح والاستاذ نجدت فتحي صفوت والدكتور نبيل ياسين الذين تطوعوا لالقاء الخطب والكلمات التي تعذر على اصحابها الحضور فلهم جميعاً جزيل الشكر والامتنان. اما السادة الذين تقدموا بالخطب والكلمات الرائعة التي القيت في الحفل والرسائل الكريمة التي استلمت، فلا يمكن للكلمات ان تفي بحقهم واكتفي بتسجيل شكرنا وشكر عائلة الفقيد لهم والله يحفظهم ويرعاهم.

لقد ارتأى اعضاء (هيئة التأبين) اصدار هذا الكراس ليكون سجلاً ومرجعاً لهذه المناسبة الوطنية التي اقترنت بوفاة الفقيد الكبير. وكان من حسن التوفيق ان التقينا بالاستاذ ناظم رمزي الرسام التشكيلي العراقي المعروف فتفضل مشكوراً بالتبرع بتصميم الكراس والمساهمة في اعداده.

ختاماً نبتهل الى الله تعالى ان يتغمد (ابا ليث) برحمته ورضوانه. وعزاءً لوطنه وامته وعائلته واصدقائه وفي ذمة الله والتاريخ ما بذل من جهد وما خلف من تراث وفكر لأبناء هذا الجيل ومن بعده. وإنا لله وإنا اليه راجعون

عبد الغني الدلي
لندن - ١٤/ ٣/ ١٩٩٨

نعي «الجمالي» في الصحف العربية

رحيل الجمالي آخر موقعي ميثاق الأمم المتحدة
«الشرق الاوسط» الاثنين ٢٦/٥/١٩٩٧

توفي مساء اول من امس الدكتور محمد فاضل الجمالي رئيس وزراء العراق السابق المقيم في تونس منذ عام ١٩٦١. وكان الدكتور الجمالي الذي توفي في الرابعة والتسعين من عمره من ابرز الشخصيات العربية في الامم المتحدة، وهو آخر من بقي على قيد الحياة من الذين وقعوا على ميثاق المنظمة الدولية في مؤتمر سان فرانسيسكو في عام ١٩٤٥. وتولى الجمالي رئاسة الوزراء في العراق مرتين ورئاسة مجلس النواب مرتين ووزارة الخارجية ثماني مرات، وكان من أوسع الساسة العراقيين في العهد الملكي ثقافة واكثرهم نشاطا، وقد عرف بدفاعه المجيد عن القضايا العربية في المحافل الدولية وخاصة عن قضية فلسطين وقضايا المغرب العربي.

وفاة محمد فاضل الجمالي رئيس الوزراء العراقي الاسبق في تونس
«القدس» الاثنين ٢٦ / ٥ / ٩٧

تونس ـ اف ب: ذكرت الصحف التونسية امس ان محمد فاضل الجمالي الذي شغل منصب رئيس الوزراء في العراق في الخمسينات توفي السبت عن ٩٤ عاما في العاصمة التونسية، حيث استقر منذ العام ١٩٦٢.

ولد الجمالي في الكاظمية (العراق) في ٢٠ نيسان (ابريل) ١٩٠٣ وشغل مناصب حكومية عليا في عهد الملكية في العراق. وقد تولى مرتين رئاسة المجلس الوطني ومجلس الوزراء بعد ان شغل مرّات عدة منصب وزير الخارجية.

حكم عليه بالاعدام اثناء الثورة التي قضت على النظام الملكي في العراق في العام ١٩٥٨ ثم اطلق سراحه في تموز (يوليو) ١٩٦١ ليتوجه في العام ١٩٦٢ الى تونس التي استقر فيها منذ ذلك الحين ومارس تدريس مادة الفلسفة والتربية والتعليم الديني لفترة طويلة في جامعة تونس العاصمة. وكانت الصحف التونسية تنشر بانتظام تحليلات ودراسات له باللغة العربية حول قضايا عربية وفلسطينية.

وامس حيت مجمل وسائل الاعلام التونسية الجمالي واصفة اياه بـ«الناشط العربي الكبير وصديق تونس»، كما اشادت بعمله في مجال «الدفاع عن حق الشعوب بالحرية والاستقلال».

وقد فاجأ الجمالي الكثير من المراقبين السياسيين في العراق عندما اتخذ موقفا قويا ضد الولايات المتحدة الامريكية اثناء غاراتها على العراق وكتب مقالات عديدة ضد الهجمة الامريكية على بلاده.

ومن المعروف ان الجمالي كان من الموقعين على ميثاق تاسيس الامم المتحدة وكان من اشرس المدافعين عن قضية فلسطين في المحافل الدولية.

الراحل في سطور

ولد محمد فاضل الجمالي في مدينة الكاظمية عام ١٩٠٣ في عائلة من نسل «بني شيبة الحمد» وهم فرع من فروع قبيلة «قريش» في مكة المكرمة. وقد هاجرت العائلة من الحجاز الى العراق قبل حوالي ثلاثة قرون وحصلت على «فرمان» -ارادة سلطانية- من الخليفة العثماني في اسطنبول، صادر في محرم الحرام ١٢٠٢هـ (١٦١١م)، مايزال في حوزة العائلة، يعهد اليها فيه خدمة ضريح الإمام «أبو يوسف» احد أئمة الحنفية المدفون قرب مرقد الإمامين موسى الكاظم ومحمد جواد وهما من سلالة الإمام على بن أبي طالب ومن أئمة الشيعة الاثني عشرية. وبعد دراسته علوم الدين واللغة العربية في مدرسة الامام الخالصي، التحق بدار المعلمين الابتدائية في بغداد.

■ اوفد في بعثة علمية للدراسة في الجامعة الامريكية في بيروت وتخرج منها عام ١٩٢٧، مارس التعليم في دار المعلمين الابتدائية ببغداد ثم سافر بمنحة دراسية للدراسة الى الولايات المتحدة حيث حصل على الدكتوراه في علوم التربية من جامعة كولومبيا بنيويورك سنة ١٩٣٢.

■ عين عام ١٩٣٢ مرشدا عاما في وزارة المعارف العراقية، ثم مديرا عاماً لها وبعد ذلك مفتشا عاما في ذات الوزارة.

■ وفي عام ١٩٤٣ نقلت خدماته الى وزارة الخارجية حيث عين مديرا عاما، وانضم الى الوفد العراقي الى مؤتمر سان فرنسيسكو عام ١٩٤٥ حيث وقع على ميثاق تأسيس الامم المتحدة باسم العراق.

■ تولى وزارة الخارجية ثماني مرات في وزارات مختلفة، وانتخب نائبا في مجلس النواب، كما تولى رئاسة المجلس مرتين.

■ تولى رئاسة الحكومة مرتين (في عام ١٩٥٣ و١٩٥٤)، في عهد الملك فيصل الثاني، كما ترأس الوفد العراقي الى المؤتمر الآسيوي الافريقي في باندونغ عام ١٩٥٥.

■ اعتقل عام ١٩٥٨ بعد ثورة تموز (يوليو)، وحكم عليه بالاعدام و٥٥ عاما من السجن، وتدخل عدد من رؤوساء الدول والحكومات في العالم من اجل انقاذ حياته، وتمكن الملك الراحل محمد الخامس من تخفيف حكم الاعدام عليه الى السجن تمهيداً للاعفاء عنه بعد تدخل مع الزعيم عبد الكريم قاسم.

■ افرج عنه عام ١٩٦١ بعد ثلاث سنوات من السجن وتوجه الى جنيف، ومن هناك دعاه الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة الى تونس حيث اقام فيها وعمل استاذا في جامعتها حتى وفاته.

■ توفي في تونس يوم السبت المصادق ٢٤ آيار (مايو) ١٩٩٧، حيث تم دفنه هناك حسب وصيته، مخلفا زوجته السيدة (سارة) واولاده الثلاث، ليث، اسامة، عباس.

■ من أهم مؤلفات الدكتور محمد فاضل الجمالي:

■ العراق الجديد: مشكلة تعليم العشائر البدوية فيه (أطروحة للدكتوراه باللغة الانكليزية)، (١٩٣٤).

■ مذكرة في مستقبل التربية والتعليم في العراق (١٩٤٤).

■ الخطر الصهيوني (١٩٤٥).

■ حقيقة الأسلام: دعوة الى الاسلام ـ رسائل من والد في السجن الى ولده (١٩٦٣).

■ العراق الحديث: آراء ومطالعات في شؤونه المصيرية (١٩٦٩).

■ الفلسفة التربوية في القرآن (طبعة ثانية ١٩٨٠).

■ صفحات من تاريخنا المعاصر (١٩٩٣).

■ مأساة الخليج والهيمنة الغربية الجديدة (١٩٩٢).

■ فلتشرق الشمس من جديد على الأمة العربية (١٩٩٦).

■ الأمة العربية الى اين؟ (١٩٩٧).

تكريم الجمالي بعد وفاته

لقد جرى للمرحوم الدكتور (محمد فاضل الجمالي) غداة وفاته الى مثواه الاخير، الذي كان اختاره بنفسه، في (ضاحية المرسي) ـ تونس، تشييع جماهيري حاشد رعاه رئيس الجمهورية التونسية، الرئيس (زين العابدين بن علي) حفظه الله ومدّ في عمره وترأسه سماحة مفتي الديار التونسية (الحاج محمد المختار السلامي) الذي القى خطاباً بليغاً هزّ مشاعر الحاضرين (يجد القارئ نصه ضمن اقوال الصحف في هذا الكراس) كما أقيم مجلس فاتحة على روح الفقيد في داره في (تونس) أمته جموع غفيرة من طلابه وعارفيه، معزين انجال الفقيد وعائلته.

واقيمت مجالس فاتحة على روح الفقيد، في مدينة (الكاظمية) في العراق مسقط رأسه.

وفي لندن (في جامع ريجنت ـ بارك) من قبل اقرباء الفقيد (شامل النهر وحارث الجمالي) واصدقائه المقيمين في لندن.

كما أقام السيد سعد صالح جبر مجلس فاتحة على روح الفقيد في قاعة (كينسنكتون تاون هول) ـ لندن.

وانعقد في نفس اليوم الذي اقيم فيه الحفل الاربعيني لتأبين الفقيد يوم ٢٧/٦/١٩٩٧ في لندن، حفل تأبيني للفقيد في تونس برعاية دولة رئيس الجمهورية التونسية وبرئاسة معالي السيد الشاذلي القليبي السكرتير العام السابق للجامعة العربية ومن أقرب اصدقائه. وكان معاليه مدعواً للمشاركة في حفل لندن واعتذر عن الحضور بسبب رئاسته للحفل في (تونس)، وأبلغ هيئة التأبين اعتذاره تلفونياً.

هيئة التأبين

(الترتيب حسب الحروف الابجدية)

الشريف الحسين بن علي

حسن الجلبي

رغيد الصلح

رفعة الجادرجي

سعد صالح جبر

سعدون القصاب

شكري صالح زكي

عبد الامير علاوي

عبد الكريم الازري

عبد الغني الدلي

عبد الله بكر

عدنان الباجه جي

عصمت كتاني

غسان العطية

فاضل الجلبي

فيصل الدملوجي

الشيخ مهدي الخالصي

نجدة فتحي صفوة

Mr. H. J. Almond

Mr. W. L. M. Conner

Dr. C. Waddy

Mr. P. J. Everington

M. Marcel Grandy

M. Michel Koechlin

الشاذلي القليبي (تونس)

احمد الميلي (الجزائر)
(مدير عام المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة)

برهان الدجاني (فلسطين)

سامي العلمي (فلسطين)

عبد الباري عطوان (فلسطن)

عز الدين العراقي (المغرب)
(مدير عام منظمة المؤتمرالاسلامي)

عبد العزيز عثمان التويجري (السعودية)
(مدير عام المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة)

عبد الكريم غلاب (المغرب)

عبد المجيد شومان (فلسطن)

علي احمد عتيقة (ليبيا)

الشيخ الحاج محمد المختار السلامي
(مفتي الجمهورية التونسية)

مصطفى بن حليم (ليبيا)

محمد بوستة (المغرب)
(امين عام حزب الاستقلال)

نديم دمشقية (لبنان)

Lord Gilmore of Craigmiller

Sir Harold Beeley, KCMG, C. B. E.

Sir Richard Beaumont

Sir John Moberly

Mr. David Newsome (USA)

Mr. A. R. K. Mackenzie

منهاج حفل تأبين الفقيد الكبير الدكتور محمد فاضل الجمالي

- تلاوة ما تيسر من الذكر الحكيم
- كلمة الافتتاح ـ الاستاذ عبد الغني الدلي.
- خطاب الاستاذ عبد الكريم الازري ـ وزير عراقي سابق.
- رسالة الدكتور عز الدين العراقي ـ رئيس وزراء (المغرب) سابقاً، ورئيس منظمة المؤتمر الاسلامي.
- رسالة الدكتور قسطنطين زريق ـ مفكر عربي (لبنان).
- خطاب الدكتور عدنان الباجه جي ـ وزير عراقي سابق، وممثل العراق الدائم لدى الأمم المتحدة سابقاً.
- رسالة الدكتور حسن الجلبي ـ رئيس الجامعة الاسلامية (لبنان).
- رسالة الدكتور علي احمد عتيقة ـ وزير ليبي سابق، ورئيس منظمة الاقطار العربية المصدرة للنفط سابقاً.
- خطاب الاستاذ عفيف صافية ـ المفوض الفلسطيني العام لدى المملكة المتحدة.
- رسالة الاستاذ برهان الدجاني ـ امين عام اتحاد غرف التجارة والصناعة والزراعة للبلاد العربية.
- خطاب الاستاذ نجدة فتحي صفوة ـ ديبلوماسي ومؤرخ عراقي.
- خطاب Mr. Everington ـ (حركة التسلح الخلقي) Moral Re-Armament Movement.
- رسالة الاستاذ عصمت كتاني ـ المستشار الخاص للسكرتير العام للأمم المتحدة.
- رسالة الاستاذ حسن الامين ـ استاذ في الجامعة الاسلامية ـ لبنان.
- رسالة الدكتور ابراهيم بيضون ـ استاذ في الجامعة الاسلامية ـ لبنان.
- خطاب الدكتور فاضل الجلبي ـ خبير اقتصادي في شؤون النفط / وكيل وزارة النفط سابقاً ـ العراق.
- كلمة عائلة الفقيد ـ الدكتور اسامة محمد فاضل الجمالي.
- الختام

الساعة التاسعة مساء الجمعة ٢٢ صفر ١٤١٨هـ الموافق ٢٧ حزيران ١٩٩٧



الدكتور محمد فاضل الجمالي - مندوب العراق - يوقع على ميثاق الامم
المتحدة في سان فرنسسكو عام ١٩٤٥

كلمة الافتتاح ـ عبد الغني الدلي

بسم الله الرحمن الرحيم

ايها الحفل الكريم

نيابة عن اخواني اعضاء هيئة التأبين واصالة عن نفسي احييكم وارحب بكم واشكركم على الحضور في هذا الحفل التأبيني في اربعين الفقيد الكبير الدكتور محمد فاضل الجمالي فقيد العراق والعروبة والاسلام.

لقد عرفت الفقيد على مدى خمسين عاماً في السراء والضراء، فكان دائماً هو ذلك الانسان الوفي لاخوانه المتواضع في سلوكه المتسامح حتى مع ألد خصومه والمتفائل ابداً في اشد الظروف حلكة وظلاماً. ولم ألمس فيه خلال هذه الفترة الطويلة سوى الصدق في القول والاخلاص في العمل والتمسك بالمثل العليا.

لذلك فالحزن على (ابي ليث) عظيم والخسارة بغيابه جسيمة.

كانت المراسلات بيني وبين الفقيد مستمرة حتى آخر أيام حياته... ولشد ما ادهشني وأثار شجوني انني تسلمت بعد أيام قليلة من وفاته رزمة ضخمة بالبريد المسجل من (تونس) واذا بها تضم رسائلي له طيلة اربعين عاماً محفوظة بعناية واتقان ومعها رسالة من نجله الدكتور اسامة يقول فيها ان المرحوم والده أوصى باعادة هذه الرسائل لي بعد وفاته. فكانت آخر رسالة وفاءٍ منه ونموذج من سلوكه الرفيع وتعامله الانساني مع اخوانه واصدقائه.

كثيرة هي المزايا النبيلة والخصال الحميدة التي اتصف بها الفقيد وليس من السهل الاحاطة بها في وقت محدود، ولعلّ خير من اوجز القول واصاب الهدف فيها هو الشيخ الجليل (البشير الابراهيمي) رئيس جمعية علماء الدين الجزائريين، حيث قال في خطاب بليغ القاه في حفل تكريمٍ اقامه له (الجمالي) في داره ببغداد عام ١٩٥٢، قال الشيخ الابراهيمي رحمه الله مخاطباً مضيفه:

«وانت أيها الدكتور جمعت في شخصك كما جمعت في اسمك ثلاث صفاتٍ نادرة هي الحمد والفضل والجمال».

وسيأتي حديث هذه الصفات وامثالها في الخطب والرسائل او الكلمات التي تفضل بها عدد كبير من اصدقاء الفقيد وزملائه وتلامذته المنتشرين في انحاء مختلفة في العالم وقد حضر عدد منهم بنفسه للمشاركة في هذا الحفل، وتعذر الحضور على آخرين وستلقى كلمات هؤلاء بالنيابة عنهم من قبل الأخوان الدكتور رغيد الصلح والاستاذ نجدت فتحي صفوت والدكتور نبيل ياسين الذين تطوعوا للقيام بهذه المهمة.

وستلقى بعض الكلمات باللغة الانكليزية من قبل اصدقاء الفقيد من اعضاء (حركة التسلح الخلقي) Moral Re-Armament Movement، التي كان الفقيد عضواً بارزاً فيها.

اشكركم ثانية وادعوكم للاستماع لكلمات التأبين حسب المنهاج الذي بأيديكم والسلام عليكم.

لندن ٢٧ حزيران ١٩٩٧

خطاب الاستاذ عبد الكريم الازري

نجتمع هذا اليوم لتأبين رجل مجاهد من أنبل الرجال تميزت حياته بالعفة والنزاهة والاستقامة في سبيل الحق والمبدأ.

كان المرحوم الجمالي متواضعاً قنوعاً لا تغره مباهج الدنيا وزينتها. كان دائما يردد الآية الكريمة، «وما الحياة الدنيا الامتاع الغرور».

كان عفيف اللسان متسامحاً يغفر اساءة المسيئين اليه ويقول سامحهم الله.

كان مسلماً ورعاً متمسكاً بممارسة الشعائر الاسلامية، ولكنه كان مسلما مجدداً يمقت التفرقة بين المذاهب والاديان والعناصر ويرى انها من البلايا والعقبات التي لا بد من زوالها اذا اردنا تحقيق الصفاء والسلام والوحدة الوطنية.

كان المرحوم الجمالي مؤمنا ايماناً عميقاً راسخاً بالديمقراطية الليبرالية القائمة على التعددية ومبادئ الحرية والعدالة والمساواة. كما كان مؤمناً بالقومية العربية اشد الايمان. كان المرحوم الجمالي باختصار مسلما عراقيا عربيا ديمقراطيا. كان هذا في رأيه طريق التقدم والسلام والاستقرار في المجتمعات العربية.

وقد اعد الجمالي نفسه لخدمة وطنه العراق ولبناء الدولة العراقية في حقل اختصاصه وهو حقل التربية والتعليم، ولم يدر في خلده ان يعمل في حقل آخر او مجالات اخرى. ولكن ظروفا سياسية داخلية وخارجية تضافرت على ابعاده عن هذا الحقل الى حقل آخر، هو حقل السياسة الخارجية، فاتيح له المجال لتسخير مواهبه وقابلياته للعمل لتحرير امته العربية من الظلم والاستعمار وقد ظل يجاهد في هذا السبيل حتى تحقق تحرير الشمال العربي الافريقي (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب).

لقد تجلت مواهبه الممتازة بمشاركته في وضع ميثاق الامم المتحدة وفي خطبه ونشاطاته فيها. لقد جعلت منه هذه النشاطات وهذا الجهاد المتواصل شخصية عالمية مرموقة.

ولكن الجمالي رغم هذه الانجازات العظيمة في خدمة وطنه العربي الكبير ظلّ دائم الحنين الى وطنه الاول والى حقل عمله الاول وهو التربية والتعليم لخدمة الشعب العراقي وبناء الدولة العراقية.

ترجع صلتي باستاذي وأخي الكبير المرحوم محمد فاضل الجمالي الى اوائل العمر. لقد ولدنا في نفس المدينة ـ مدينة الكاظمية التي هي الآن ضاحية من ضواحي بغداد.

ولد هو في عام ١٩٠٢، وانا في عام ١٩٠٩. نشأ المرحوم الجمالي في محيط ديني محافظ، وكان المفروض فيه ان يلتحق بمدرسة الامام الخالصي الدينية ويتابع الدراسة فيها ليتخرج عالما دينيا ولكنه آثر السير في طريق آخر، وهو الالتحاق بالمدارس المدنية.. فانتسب الى مدرسة الـ«نمونه مكتبي»، أي المدرسة النموذجية التي انشأها الحكم العثماني الاتحادي الجديد التي فتحت ابوابها لابناء الشيعة للمرة الاولى، ويقول الجمالي عن تلك المدرسة «لم نشعر مطلقا بأي تمييز بين السنة والشيعة في تلك المدرسة»، التي لم يطل عمرها بسبب الاحتلال البريطاني.

وبعد الاحتلال البريطاني للعراق سنة ١٩١٧، انشئت مدرسة لتخريج المعلمين، فالتحق بها المرحوم الجمالي وتخرج منها في سنة ١٩٢٠، وكان عمره يومئذٍ سبعة عشر عاما، وعين معلماً في مدرسة الكاظمية الابتدائية للبنين، التي كنت فيها وقتئذٍ تلميذاً في الصف الخامس الابتدائي، وكان عمري احد عشر عاماً.

وعند نجاحي في الامتحان السنوي اهداني الجمالي، تقديرا منه لجهودي، كتاب - Anderson' s Favourite Tales وكتب عليه الاهداء التالي بالانكليزية:

I give this book to my obedient student Abdul Karim.

وذيله بالتوقيع التالي:

The Teacher Mohd. Fadle

24 March 1921

اي قبل ستة وسبعين عاماً.

ولا ازال احتفظ بهذه الهدية الغالية من معلمي الاول المرحوم فاضل الجمالي.

وفي كانون الاول سنة ١٩٢١ ارسل الجمالي في اول بعثة علمية توفدها وزارة المعارف العراقية الى خارج العراق. وذلك الى الجامعة الامريكية في بيروت، وقد تخرج منها في سنة ١٩٢٧، ورجع الى بغداد وعين مدرساً في دار المعلمين الابتدائية.

لقد كان لدراسته في الجامعة الامريكية في بيروت ومشاركته في النشاطات الاجتماعية الواسعة اثر في تحريره من المحيط المحدود الذي نشأ فيه. وكان لاختلاطه بالشباب العربي الجامعي وفي مقدمتهم الدكتور قسطنطين زريق، اثر كبير في نفسه.

فاصبح من المتحمسين للقومية العربية وتحديث المجتمع العربي وباختصار رجع الجمالي الى العراق شخصا جديدا غير الجمالي الذي ترك بغداد قبل بضعة سنوات للدراسة في بيروت.

لقد كان المرحوم طموحاً لتحقيق المزيد من الدراسة، فتشبث للحصول على منحة دراسية ونجح في سعيه فحصل على منحة مكنته من الدراسة في كلية المعلمين في جامعة كولومبيا، حيث التحق بها في عام ١٩٢٩، وحصل على الدكتوراه في التربية والتعليم في عام ١٩٣٢. وكان موضوع بحثه تعليم ابناء الريف والعشائر، والتي نشرت بالانكليزية بعنوان: مشكلة تعليم البدو.

وفي اوائل سنة ١٩٣٢ وصلت الى بغداد بلجنة الكشف التهذيبي التي كانت وزارة المعارف قد استقدمتها من بعض الجامعات الامريكية لدراسة نظام التربية والتعليم النافذ وقتئذٍ في العراق. وجاء بمعية اللجنة الدكتور فاضل الجمالي الذي عين مرافقاً رسمياً لها. وكان ذلك في عهد الملك فيصل الاول باني كيان العراق الحديث ومؤسس نهضته.

لقد قامت اللجنة بمهمتها خير قيام وشخصت النواقص التي كان يعاني منها نظام التربية والتعليم في العراق وقتئذٍ تشخيصا رائعا دقيقا وقدمت في تقريرها توصيات مهمة لاصلاح تلك النواقص، غير ان الوزارة لم تأخذ بها.

اما المرحوم الجمالي فقد استحدث له في مركز وزارة المعارف منصب باسم مرشد التعليم العام. وكنت وقتئذٍ سكرتيراً لوزارة المعارف وبدأنا، المرحوم وانا، نتعاون تعاونا وثيقا. هو في الناحية الفنية وانا من الناحية الادارية، وقد حققنا انجازات مهمة في نشر التعليم.
وتم تعيين الجمالي فيما بعد مديرا عاما للمعارف، ولكن وجوده في هذا المنصب لم يدم طويلاً حيث نقل الى وظيفة مفتش المعارف العام، ومنها نقل الى وزارة الخارجية.
كان الجمالي مفكراً مصلحاً حراً. وعندما اشتركت معه وزيراً للمالية في الوزارة التي ألفها في سنة ١٩٥٣ أيد جميع المشاريع الاصلاحية التي كنت قد تقدمت بها والتي أقرها مجلس الوزراء وارسلها الى مجلس النواب.. الا ان هذه المشاريع اصطدمت بمقاومة عنيفة من المتنفذين واصحاب المصالح الذين كانوا سيتضررون منها.
يعتبر الجمالي من اهم رموز العهد الملكي، ذلك العهد الذي انجزت في زمنه مشاريع عمرانية هي من اهم ما أنجز في الشرق الاوسط آنذاك، كمشروع خزان الثرثار وخزان دوكان على الزاب الصغير، وخزان دربنديخان على نهر ديالى. وذلك رغم ضآلة موارد العراق من النفط وقتئذ، تلك الموارد التي تضاعفت اضعافا مضاعفة حتى قدرت بمبلغ يزيد عن ٢٠٠ مليار دولار للفترة بين ١٩٦٨ و١٩٩١، ولكن وللاسف لم يتحقق من ورائها اية مشاريع ذات اهمية، وهدرت في حروب غير مبررة.
لقد ترك الجمالي عددا من المؤلفات وهي تدور حول مختلف المواضيع التي كانت محل عنايته واهتمامه وجهاده، ولكني وكثير من اخوانه واصدقائه رجوناه عدة مرات ان يدون مذكرات تشرح بتفصيل قصة حياته وجهاده وانجازاته. ولكنه لم يفعل لان صحته امست لا تساعده على بذل ما يقتضيه هذا التاليف من جهد كبير، وخسر العالم قصة حياة هذا المجاهد الكبير مكتوبة بقلمه.
لقد عاش الجمالي ستة وثلاثين عاما معززاً مكرما في وطنه العربي الثاني تونس التي رحبت به واكرمته ايما كرم، حيا وميتا، واطلقت اسمه على احد شوارع العاصمة.
وقبل ان اختم كلمتي اسمحوا لي ان اتلوا عليكم بعض ما جاء في آخر رسالة منه موجهة لي، مؤرخة في ١٢ نيسان ١٩٩٧، وكأنها رسالة وداعية، يقول فيها:
«اني اشكر الله على الانحدار التدريجي في ضعف السمع والبصر وضغط الدم والروماتيزم في الفخذ والساق الايمن. اتناول الادوية وقطرات العين. واستمر في المطالعة (الصحف اليومية داخلية وخارجية) واكتب احيانا مع اقتصاد في الحركة والانتاج.
هموم العراق والأمة العربية والعالم الاسلامي والانسانية جمعاء لا تفارقني.. ولا يمضي يوم الا ويجري حديث بيني وبينك في الفكر والتصور.. اثرك في حياتي وتفكيري عميق.. حفظك الله وجازاك لما تحمله من عواطف نبيلة وصراحة واضحة في تفكيرك».
رحمك الله يا أبا ليث واسكنك فسيح جناته.. وإنا لله وإنا اليه راجعون.

كلمة معالي الدكتور عز الدين العراقي

فقيد العروبة والاسلام المرحوم محمد فاضل الجمالي
أيها الاخوة الكرام
تعود بي الذاكرة، وأنا أتحدث عن فقيد العروبة والاسلام الدكتور محمد فاضل الجمالي، الى أيام شبابي ودراستي الجامعية في باريس. إذ كانت أول مناسبة لي للتعرف عليه، متابعتي لجلسات هيئة الأمم المتحدة في قصر شايو بباريس واستماعي لما قاله في حق بلدي المحتل آنذاك.
وقدرت ما كان يقوم به في الجمعية العامة لهيئة الأمم وفي كواليسها الى جانب اخوانه الذين أتذكر منهم الاستاذ عبد الرحمن عزام الامين العام لجامعة الدول العربية آنذاك وممثل باكستان السيد ظفرالله خان والدكتور صلاح الدين وزير خارجية مصر بتنسيق مع مجموعة من الطلبة المغاربة ـ وهم قلة آنذاك ـ الذين كانوا يتابعون دراستهم بفرنسا. فأعجبت بالرجل وبإيمانه وصدقه وحرارة دفاعه عن العدل والحرية. وتطوّرت الاحداث في المغرب، ونلنا استقلالنا بعد بضع سنين فقط من هذه الجولة من كفاحنا المعزز بمساندة اخواننا العرب والمسلمين.
وامتحن الفقيد وعُرّض للموت، فجاء موقف جلالة الملك محمد الخامس ليدل على وفاء المغاربة واعترافهم بالجميل، إذ رفض رحمه الله أن يذهب الى العراق وبه فاضل الجمالي معرضا للموت بعد ما حكم عليه بالاعدام. فكان هذا الموقف الحازم سبباً لانقاذ حياته.
وكان من الصدف أن وجدتني بالعاصمة التونسية يوم نعي محمد فاضل الجمالي. فبعد أن علمت بوفاته عبر الصحف ووسائل الاعلام، حججت الى بيته المتواضع وقدمت عزائي الى ابنه وبعض أفراد عائلته ولاحظت صورة لمحمد الخامس على طاولة في بيته وهي مصدرة بخط محمد الخامس نفسه. فلا شك أن ذكرى هذا الرجل ستبقى عالقة في أذهان كل من عرفوه وخبروا معدنه واطلعوا على قلبه الكبير وحبه الصادق للعروبة والاسلام. وسيكون من باب الاعتراف بالجميل له أن تتطّلع الاجيال التي لم تتح لها معرفته على خدماته ومواقفه وخصوصا على أفكاره المتحررة الهادفة في باب السياسة والتعليم على الخصوص.
رحمه الله، وعزاء لعائلته الكريمة وللأمة العربية والاسلامية جمعاء.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة الدكتور قسطنطين زريق

بماذا اذكر فاضل الجمالي؟

لقد عاش الجمالي حياة طويلة ملآى بالمشاغل والمشاكل، فلا يوفى حقه بعبارات مقتضبة او كلمات محدودة، ولذا سأقتصر على ثلاثة امور تبرز في ذهني الآن كما برزت كلما لقيت فقيدنا الكريم او سمعت به او عنه.

عرفت فاضل الجمالي فتى ناشطا حين كنا كلانا من طلاب الجامعة الامريكية في بيروت في اواخر العشرينات. وكنت انعم بصحبته وأزهو. وكثيراً ما كنا نتناقش في احوال امتنا العربية وما يجيش في صدور ابنائها من آمال وما يواجهها من أفكار وتحديات، فنأسى احيانا ونضطرم احيانا اخرى تطلعاً الى المستقبل الرهيب وتحريا لواجبنا في اعداده وفي تحمل مسؤولياته الجسام. وظللنا نلتقي خلال السنوات السبعين التالية في بيروت او بغداد او غيرهما من حواضر الشرق او الغرب، واشهد اني لم اسمع منه خلال تلك المدة المديدة والشديدة الاضطراب اية فكرة جائرة او كلمة نابية بشأن القضايا التي كنا نعالج او الاشخاص الذين وافقوه وساندوه او اولئك الذين خالفوه وعادوه.

واذ اقف الآن مستذكراً سيرته واعماله، اشيد بتلك الصداقة الصافية المعطاء التي كانت تفيض من نفسه والتي تكون بحق نعمة من اثمن نعم الحياة.

ويسعدني اني كنت واحدا من الذين شملهم فاضل الجمالي بهذا الفضل، ويؤسفني من جهة اخرى ان ارى تردي هذه الفضيلة في ايامنا هذه واضمحلالها في حياتنا العامة وتغليب المصلحة والشهوة عليها وعلى امثالها مما يشرف الانسان ويرفع قدر الحياة.

واذكر ثانيا ان فاضل الجمالي بقي أمينا لحبه الاول. لقد احب اول ما خرج الى ميدان العمل التعليم والتربية واخذ يبشر بهما ويمارسهما في سنوات نشاطه الاولى قبل ان يلج - او يُجر - الى ميدان السياسة والحكم.

واعتقد انه خلال جولاته المتتابعة في هذا الميدان كان يحن الى عمله المفضل. وعندما ألجأته الاهوال التي تعرض لها، الى تونس بدعوة من الرئيس الحبيب بورقيبة، طلب ان يمارس اختصاصه في التربية، فعاد في الشطر الاخير من عمره الى مهنته الاولى وانكب على ممارستها في تونس كما انكب عليها في العراق (وكان يعتبر كل بلد عربي وطنا له) الى ان وافته المنية وفاضت نفسه راضية مرضية.

وثالث ما تثيره في نفسي ذكرى فاضل الجمالي انه عد من اركان العهد الذي جرى اكثرنا على نعته بالعهد البائد، وعلى ذمه وتحقيره، وتحميل أربابه مسؤولية كل ما اصاب العرب من محن وأوزار. وبعيد عنا اعتبار ذلك العهد خاليا من اي عيب او خطيئة. فلم يكن لمجتمعنا العربي ان يخرج فجأة من ظلام القرون العديدة التي عانى منها العجز والذل والتخلف الى انوار القدرة والعزة والتحرر، بل كان طبيعياً له ان يظل مثقلا باوزار الماضي

وعلله. ولم تأت العهود التي تلت العهد البائد بأفضل منه، بل كثيرا ما تمنينا ـ لهول ما أصابنا ـ ان يعود ذلك العهد السابق على رغم ما ندرك من اخطائه ونقائصه، وذلك لان اهله كانوا على الاقل يتحركون ضمن حدود، حدود الله، وحدود المواطن والانسان، وحدود الارض والتراث. ان وعينا حينئذٍ لهذه الحدود ـ او احساسنا الطبيعي بها ـ جعلنا نتجه اتجاها ديمقراطيا وان لم تكن ديمقراطيتنا خالصة او مكتملة. اما عندما اخترقنا فيما بعد هذه الحدود فقد خرجنا الى اللامحدود واللامعقول في تصور السلطة والهيمنة وممارستها، وعدنا الى ما كنا عليه سابقاً من تشتت وذل، بل الى ما هو أسوأ وافضع.

كم جرنا عليك يا فاضل، وشكونا منك ومن اقرانك، رؤساء ومرؤسين، في جبهات الحكم والسلطة!

فلتكن ذكراك مناسبة لنا لتجديد ادراكنا للحدود وللاعتدال في الاعتقاد والسلوك، ولتقوية ايماننا بالديمقراطية وسعينا لتحقيقها، ولتشديد عزمنا على تصحيح واكمال ما عجزت عنه وما عجز عنه الكثيرون منا في التغلب على مآسي تاريخنا وحاضرنا. وعسى ان تأتي جهودنا مدركة للمطالب العسيرة التي يحملها المستقبل ومشجعة للفضائل التي تفرضها هذه المطالب. ولن نستحق ولن ندرك أهدافنا الا بهذه الفضائل.

خطاب الدكتور عدنان الباجه جي

أود أولاً أن أشكر الاصدقاء وعلى الاخص الاخ عبد الغني الدلي لاقامة هذا الحفل التأبيني الكبير لرجل قدم أجل الخدمات لبلده وقومه. وأشكرهم أيضا على اعطائي هذه الفرصة للتحدث عن الفقيد الراحل الذي كانت تربطني به علاقات صداقة وعمل بدأت منذ أكثر من خمسين عاما عندما دخلت السلك الدبلوماسي العراقي؛ وكان رحمه الله يومئذٍ مديرا عاما لوزارة الخارجية، ثم عملت معه عضوا في الوفد العراقي الى الجمعية العامة للأمم المتحدة خلال خمس دورات كانت آخرها الدورة الحادية عشرة في سنة ١٩٥٦/٥٧. كنت وقتئذٍ أمثل العراق في لجنة الوصاية والمستعمرات، وقد شجعني الجمالي على اتخاذ مواقف واضحة ومتشددة في مساندة حركات التحرر في افريقيا وآسيا، وكان يقول، رحمه الله، اذا كنا نطلب الحرية لأنفسنا فكيف لا ندافع عن حق الآخرين في نيلها؟ ووردته عدة شكاوى من ممثلي بعض الدول الغربية المتحالفة مع العراق في ذلك الوقت وطلبوا منه أن يوعز الى ممثله بأن يكون أكثر اعتدالاً في معالجته لقضايا المستعمرات، فكان جوابه، رحمه الله، ان على الاصدقاء أن يدركوا بأن تأييدنا لكفاح الشعوب للتخلص من الاستعمار نابع من مبادئنا القومية العربية التي لا يمكننا المساومة بشأنها ونصح هؤلاء الاصدقاء أن يغيروا هم من أساليبهم في ادارة شؤون مستعمراتهم وأن لا يطلبوا من العراق أن يؤيدهم في سياساتهم الخاطئة. وفي هذا الصدد كان، رحمه الله، يردد القول المأثور «صديقك من صَدَقك لا من صَدّقك».

كان الجمالي قوميا عربيا ملتزما التزاما كاملا بالفكرة القومية، ومؤمنا ايمانا مطلقا بضرورة الوحدة العربية وحتميتها. عالج بهذه الروح القضايا المعروضة على الامم المتحدة وفي مقدمتها قضية العرب الكبرى فلسطين، وكفاح شعوب تونس والمغرب والجزائر من أجل الحرية والاستقلال. وكان رحمه الله يعلق أهمية كبرى على ضرورة تضامن الوفود العربية ووقوفها صفا واحدا في المجتمع الدولي. وأذكر في هذا المجال تأييده دون تردد لصفقة السلاح التي عقدها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر مع الكتلة السوفيتية عام ١٩٥٥ بالرغم من العلاقات المتوترة بين مصر والعراق في ذلك الوقت وانتقد الدول الغربية لعدم تلبيتها طلبات مصر والعراق في ذلك الوقت وانتقد الدول الغربية لعدم تلبيتها طلبات مصر المتواضعة من السلاح بعد الهجوم الذي شنته القوات الاسرائيلية على مركز القيادة المصرية في قطاع غزة في شباط ١٩٥٥.

وأيد الجمالي أيضا حق مصر في تأميم شركة قناة السويس. وأذكر جيدا خطابه بادانة العدوان الثلاثي على مصر واستهجانه لتواطؤ بريطانيا وفرنسا مع اسرائيل.

تزامن تعيين الجمالي وزيرا للخارجية مع بدء الحرب الباردة، وكان من أهم أهداف السياسة الامريكية احتواء الاتحاد السوفييتي عن طريق انشاء أحلاف عسكرية مع الدول المجاورة له او القريبة منه. تعرض العراق كما هو معروف لانتقادات شديدة لانضمامه الى أحد هذه الاحلاف وهو ميثاق بغداد وتولى الجمالي مهمة الرد على هذه الانتقادات في مؤتمر باندونغ للدول الآسيوية والافريقية في ربيع عام ١٩٥٥ وأكد على حق العراق في التعاون مع جيرانه لدرء خطر التوسع السوفييتي ورفض الوقوف على الحياد في الصراع الدائر بين الغرب والسوفييت. كان الجمالي يعتقد بوجود خطر شيوعي داهم على البلاد العربية ولم ينس ان الدولة الشيوعية ناصرت الحركة الصهيونية وزودت اسرائيل بالسلاح عام ١٩٤٨.

وبقيت شكوكه في النوايا السوفييتية حتى بعد تغيير الاتحاد السوفييتي لسياسته ووقوفه بجانب العرب في الامم المتحدة وتخليه عن تأييد اسرائيل. بالاضافة الى ذلك كان الجمالي يعتقد بأن التحالف مع الغرب سيساعد على ايجاد حل عادل للقضية الفلسطينية. وظل على رأيه هذا الى نهاية حياته. ولكنه لم يتوقف عن انتقاد السياسة الامريكية المنحازة الى اسرائيل، وفي احدى زياراتي له في لندن منذ سنتين تحدث بمرارة بالغة عن الولايات المتحدة التي شعر بأنها خذلته كما خذلت غيره من الساسة الذين كانوا يؤمنون بفوائد التعاون مع الغرب، وضحوا بالكثير من أجل ذلك. وعندما سالته عن الاوضاع العربية الراهنة قال، رحمه الله، انه يأسف كثيرا لانفراط الاجماع العربي بشأن النزاع مع اسرائيل وتراجع العرب عن بعض مطالبهم الاساسية المشروعة وقبولهم بعقد مفاوضات ومعاهدات صلح منفردة وقيام البعض بتطبيع العلاقات مع اسرائيل قبل الاتفاق على تسوية عادلة وشاملة للقضية الفلسطينية. وكان رأيه أن ينتظر العرب ويصبروا حتى يستعيدوا شيئا من قوتهم وتضامنهم ليتسنى لهم الدخول بعد ذلك في مفاوضات أكثر تكافؤا مع اسرائيل.

والواقع ان المشكلة التي واجهت الجمالي وهو في مركز المسؤولية في العراق تواجه الساسة

والزعماء العرب في الوقت الحاضر، وهذه المشكلة هي كيف يمكن التوفيق بين علاقات صداقة وتعاون مع الولايات المتحدة مع تأييدها غير المحدود لاسرائيل وتغاضيها عن العدوان الصهيوني المستمر على شعب فلسطين. يحاول المسؤولون العرب اليوم كما حاول الجمالي وأقرانه منذ أربعين عاما اقناع الولايات المتحدة باتخاذ مواقف أكثر توازنا والاستجابة الى المطالب العربية والتي ويا للأسف الشديد تزداد تواضعا مع مرور الزمن.

كان الجمالي رحمه الله ديمقراطي النزعة في سياسته وفي حياته الخاصة وعلاقاته مع الناس، متفتحا ومتواضعا، بعيدا كل البعد عن الغطرسة والتعالي يحترم الرأي المخالف، ولا يحاول فرض ارادته على الآخرين. كان يتمنى لو أتيحت له الفرصة لتطوير النظام السياسي في العراق وتوجيهه تدريجيا نحو الديمقراطية، فقد تشبع الجمالي منذ شبابه بالافكار والمبادئ الليبرالية وعلى الاخص احترام حقوق الانسان الاساسية التي نصت عليها المواثيق والمعاهدات الدولية التي شارك في وضعها وصياغتها الوفد العراقي الى الامم المتحدة برئاسة الدكتور فاضل الجمالي. وبعد رحلته الطويلة الصعبة في عالم التعليم والدبلوماسية والسياسية عاد الجمالي الى جذوره الاسلامية العميقة التي وجد فيها ما يغنيه عن كل شيء. والله أسأل أن يتغمده بواسع رحمته ويسكنه فسيح جناته والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة الدكتور حسن الجلبي

أيها الحفل الكريم

لقد دخل فاضل الجمالي التاريخ من أوسع الابواب وأبقاها على وجه الزمن. رغم محاولات الطغاة لاخراجه منه بجلبتهم وضجيجهم واحكام طغيانهم.

وعلى تعاقب الاحداث، كثيراً ما انقلب السحر على الساحر، وشهد التاريخ انحطاط الحاقدين الى دركاته السفلى، وصعود الجمالي وأمثاله الى عليائه.

ذلك لأن جوهر الجمالي منفطر على الايمان والدأب والبحث عن الحق والحقيقة، نشداناً للغايات النبيلة في الخير والاصلاح والبناء.

ذاك الفتى الذي كان يتعلم ويعلم أبناء «الكاظمية» مسقط رأسه، عرفته بيروت في يفاعته طالباً نجيباً مجداً حين كان الوافد الأول من العراقيين الى جامعتها الامريكية، ورئيساً لجمعية الطلاب العراقيين. ومن ثم جمعية الطلاب العرب المسماة «العروة الوثقى».

هذه الفتوة الوثابة والشباب المستشرف، دفعا الجمالي الى أعلى التحصيل والبحث العلمي في أرقى الجامعات، ومن ثم الى أعلى المراكز في البرمجة والتخطيط والتربية والتعليم في وطنه العراق.

ومنها الى العمل الدولي والدبلوماسي مديراً ووزيراً ثم خطيباً مفوهاً وصائلاً مجلياً في الدفاع عن المقدسات العربية على المنبر الدولي، فاستحق بشرف رئاسة حكومة بلاده التي قيل فيها أنها الثورة البيضاء.

ومن موقع الرئاسة يؤخذ الجمالي، ذات ليلة وفي غفلة من الزمن الى سجون الرابع عشر من تموز، ومن ثم الى ساحة الاتهام أمام محكمة المهداوي، أغرب محكمة عرفها تاريخ العرب، حيث يحكم عليه بالاعدام، لتتحول قدراته وبلاغته في الدفاع عن أقدس قيم أمته من أعلى منصة دولية، الى الدفاع عن نفسه وقضيته في مواجهة الظلم والعنف في أحط منصة عربية.

«والله خير الحاكمين». نجا الجمالي ويمم شطر تونس لتكون وطنه الثاني، فأقام مفكراً ومعتبراً ومعلماً لا تنفك عنه صفته. فألف في مجالات وميادين شتى: في التربية والفلسفة والاخلاق، والسياسة، والتاريخ والسير. وفي كل ذلك كان يكتب بقلم الثقافة الواعية والحكمة المتأنية والقيم الرفيعة.

ان حياة الجمالي وسيرته وكفاحه وتراثه ووصاياه هي بحق منار الاجيال، وقيادة روحية وفكرية وريادية، لمواجهة المستقبل وأعبائه.

ولعل أعظم وفاء نقوم به لفاضل الجمالي، وأكرم اهداء لروحه الطاهرة في عليائها، يتمثل في القيام على حفظ تراثه ودراسته ونشره، ليبقى عطاؤه ثراً متدفقاً، ومعارفه تغذي العقول والنفوس وتضيء سبل الخير والسعادة.

وكم كنا نتمنى أن يكون الراحل الكبير حياً في هذا اليوم لنزف اليه من بيروت خبر صدور كتابه «الامة العربية الى أين»؟ وهذا الكتاب الذي كان يصبو الى ان يدركه قبل أن يدركه الموت.

ولكن كان قضاء الله. فلم تقر عينه برؤية ما كان يصبو اليه.

رحم الله الجمالي بواسع رحمته واثابه بجنان نعيمه عما قدّم لشعبه وأمته واسلامه وانسانيته.

وسلام عليكم أيها الاوفياء الكرام المحتلفون بذكراه في يوم أربعينه.

كلمة الاستاذ علي احمد عتيقة

ايها الجمع الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يشرفني ان اشارك معكم ولو عن بعد في تأبين المرحوم الدكتور فاضل الجمالي الذي انتقل الى رحمة ربه بعد عمر مديد وعمل مجيد تاركا خلفه سمعة طيبة نقية وابناء واحفاد كرام اعزاء واصدقاء اوفياء امثالكم في كل انحاء الوطن العربي والعالم. يشهد له كل ذلك بالتقدير والعرفان في الدنيا والآخرة ويجعل وجوده حيا مستمرا في ذاكرة وضمير كل من عرفه شخصيا او من خلال كتاباته الفكرية التربوية السياسية المتميزة. كما يشهد له نضاله السياسي والدبلوماسي في الامم المتحدة وخارجها في سبيل تحرير واستقلال دول شمال

افريقيا وخاصة بلادي ليبيا. وبعدها المغرب وغيرهما من اقطار العالم التي خرجت من الاستعمار بعد الحرب العالمية الثانية.

لقد تشرفت بلقاء المرحوم فاضل الجمالي اول مرة بعد عشر سنوات من خروجه من دائرة الحكم والنفوذ. كان ذلك عام ١٩٦٨ في منزل المرحوم طارق العسكري الذي كان زميلي في العمل بوزارة التخطيط والتنمية في المملكة الليبية آنذاك. تحدث المرحوم في ذلك اللقاء عن ظروف محاكمته وكيف انه لم يكن يملك حتى اتعاب المحامي مما جعله يتولى الدفاع عن نفسه في محكمة المهداوي الشهيرة.

كما تحدث عن تجربة انتظاره تنفيذ حكم الاعدام عدة سنوات قائلا ان المرحوم الملك محمد الخامس هو الذي انقذ حياته بعد مشيئة الله العلي القدير وان الرئيس الحبيب بورقيبة هو الذي اعطاه الامل في حياة جديدة ومعيشة كريمة عندما ارسل سفيره في سويسرا يدعوه للاقامة في تونس. كان لتلك الدعوة الكريمة اطيب الاثر في نفس المرحوم فاضل الجمالي الذي لم يكن يرغب في اللجوء الى بلاد الغرب مثل امريكا او غيرها على الرغم من حيرته النابعة من معرفته التامة بتردد بل وخوف العديد من الحكومات العربية من استضافة مسؤول عراقي سابق في ظل الظروف السياسية التي كانت سائدة في الشارع العربي في ذاك الوقت.

لم تساعدني للأسف الشديد ظروف المعيشة والاقامة على مواصلة التعارف بالمرحوم بعد اللقاء الاول والاستفادة من حديثه النير الشيق وخبرته الطويلة في قضايا العمل العام الا في مناسبات قليلة قصيرة عندما كنت ازوره في بيته في تونس. غير انني كنت على اتصال يومي باخباره عن طريق ابنه الدكتور اسامة الذي زاملني في العمل في بنك ليبيا المركزي اولا لمدة اربع سنوات ثم في منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول ولمدة اربعة عشرة عاما حيث مازال يعمل حتى الآن. ويعود الفضل في مجيء الاخ اسامة الى بنك ليبيا للمرحوم الدكتور علي نور الدين العنيزي محافظ بنك ليبيا آنذاك. ويعود له الفضل في تعريفي بافضال المرحوم فاضل الجمالي على اقطار المغرب العربي اثناء كفاحها من اجل الاستقلال وخاصة بالنسبة لليبيا التي كانت خامس دولة تنال استقلالها في القارة الافريقية بعد مصر واثيوبيا وليبيريا واتحاد جنوب افريقيا العنصري آن ذاك.

اما في الوقت الحاضر حيث اقيم واعمل في عمان عاصمة المملكة الاردنية الهاشمية الكريمة فانني اشعر باستمرار الصلة والتواصل مع سيرة واسرة الرحوم فاضل الجمالي عن طريق ابنه الدكتور عباس وعائلته الذين يقيمون في عمان ايضا.

رحم الله الفقيد الكبير الفاضل وفقيد العراق وتونس والمغرب وليبيا وكل الاقطار العربية وجزاه الله خيرا على ما قدمه من اعمال جليلة لوطنه وامته العربية الاسلامية. بارك الله في ابنائه اسامة وعباس وفي احفاده ليكونوا الوصل الخير المستمر ان شاء الله بينه وبين هذه الدنيا حتى يرث الله الارض ومن عليها.

جزاكم الله خيرا على وفائكم للمرحوم فاضل الجمالي واحسن الله عزاءنا جميعا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

خطاب الاستاذ عفيف صافية

المفوض الفلسطيني العام لدى المملكة المتحدة

القى الاستاذ (عفيف صافية) خطاباً ارتجالياً بليغاً باللغة الانكليزية استرعى اهتمام الحاضرين وتقديرهم. ولأن النص الكامل لم يتوفر لنا بسبب مشاغل الاستاذ (صافية) الكثيرة والتزاماته الملحّة بحكم منصبه فاننا نورد هنا موجزاً بأهم النقاط التي تطرق اليها: بعد اطلاعه وموافقته عليها.

ـ اشار انه لم يكن من جيل (الجمالي) ولم يتابع مراحل جهاده في حينها. ولكنه سمع الكثير عنه من زعماء فلسطينيين بارزين، وكانت تعزية الرئيس (عرفات) لعائلة الفقيد في تونس اشعاراً بالمكانة التي يشغلها في قلوب الفلسطينيين واعترافاً بنضاله ضد الظلم والاعتداء الذي وقع على فلسطين واهلها والاماكن المقدسة فيها.

ـ أنه بعد اطلاعه على المراجع التي زوّده بها (الاستاذ سامي العلمي) و(الاستاذ عبد الغني الدلي)، دهش لطول المدة واتساع الساحة التي ناضل فيها (الجمالي) من اجل فلسطين مضافاً الى سعة اطلاعه وعمق شعوره بهذه المأساة وبُعد تأثيرها على حياة الشعوب العربية عامة وعلى استقرار المنطقة وعلى السلم العالمي.

ـ ان كتاب الجمالي (الخطر الصهيوني ـ بقلم ابن العراق) الصادر عام ١٩٤٣ في القاهرة والذي اعيد طبعه عام ١٩٧٧ في تونس كان اول جرس انذار بالخطر القادم ليس على فلسطين بل على جميع البلاد العربية من المخطط الصهيوني العالمي للتغلغل في تلك البلاد وتسخيرها للهيمنة والمصلحة الصهيونية والقضاء على مقوماتها.. وقال في مقدمته للطبعة الثانية من الكتاب، «حررت هذه المقالات اثناء الحرب العالمية الثانية يوم كان الصهاينة في بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية يخطّطون لانشاء الدولة اليهودية وكان العرب بعيدين عما يجري وراء البحار»... «وان الاخطار التي حذرت منها امتي قبل ثلث قرن من الزمن قد داهمتهم بالفعل.. ان المعطيات الاساسية للقضية الفلسطينية لم تتغير وحقوق العرب المشروعة في وطنهم فلسطين ثابتة ما دامت في الكون شرائع سماوية وحقوق وقوانين انسانية».

ـ وان كتاب السيد ز. هاري. جي. آلموند (رجل دولة عراقي. صورة شخصية لمحمد فاضل الجمالي)

.IRAQI STATESMAN. A Portrait of Mohammed Fadhol JAMALI

by Harry J. ALMOND

يسجل ان الجمالي منذ انتقاله من ادارة التعليم العامة في وزارة المعارف العراقية الى مدير عام للخارجية عام ١٩٤٣ ثم وزيراً للخارجية ثم مندوباً للعراق في هيئة الامم المتحدة عدة مرات طالما وقف مذكراً العالم ورافعاً صوته بالاحتجاج ضد المجازر التي ارتكبها الصهاينة في (دير ياسين) ثم في (قبية ونحالين وغزة وكفر قاسم).

ـ في عام ١٩٤٦ انعقد مجلس دول الجامعة العربية في (بلودان) ـ سوريا لاتخاذ ما يجب من التدابير ضد اصرار الرئيس الامريكي (ترومان) على بريطانيا الدولة المنتدبة بالسماح بهجرة مئة الف يهودي الى اسرائيل. فتقدم الجمالي باسم العراق باقتراح فاجأ اعضاء المجلس حيث طالب اولاً بتخصيص مليوني باون استرليني من قبل دول الجامعة يذهب نصفها لتمويل مكاتب الاعلام العربية للوقوف ضد الدعاية الصهيونية في بريطانيا وامريكا خاصة ويذهب النصف الآخر لشراء الاراضي العربية والحيلولة دون شرائها من قبل الصهيونيين.

وثانياً: استخدام النفط كسلاح في محاربة الصهيونية والدول المناصرة لها ووقف ضخ النفط عن تلك الدول اذا استمرت في تحيزها للصهيونية.. وقد اعتبرت غالبية اعضاء المجلس هذا الاقتراح خطوة متطرفة لا يمكن قبولها واتخذت قراراً بشطب كلمات (الجمالي) من محضر الاجتماع الامر الذي دفعه لأن يجيب بالقول «لكم ان تشطبوا الكلمات ولكنكم لن تشطبوا الواقع. ان الحقائق ستفرض نفسها».. وهكذا كان حيث اضطرت الدول العربية للاخذ برأي الجمالي بوقف ضخ النفط دفاعاً عن فلسطين وكيان الامة الغربية ولكن بعد سبع وعشرين عاماً!

ـ ويذكر للجمالي موقف آخر لا يقل جرأة وخطورة، فعندما تقدمت امريكا بايعاز من الرئيس (ترومان) في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ باقتراح الى هيئة الامم يقضي بـ (تقسيم فلسطين) اثار (الجمالي) بشدة موضوع شرعية هذا الاقتراح وصلاحية هيئة الامم لاتخاذ قرار بتقسيم بلد دون موافقة سكانه الاصليين. وطالب بضرورة استشارة «محكمة العدل الدولية» قبل الدخول في مناقشة الامر. حظى اقتراح الجمالي بتأييد مندوبي الدول العربية والاسلامية وفي مقدمتهم فارس الخوري، مندوب سوريا وظفر الله خان مندوب الباكستان ودول العالم الثالث واحدث ارتباكاً في الجانب الامريكي ادى الى استعمال الرئيس الامريكي نفوذه الشخصي لدى عدد من دول العالم الثالث خاصة في امريكا اللاتينية لتمرير هذا القرار باكثرية ضئيلة.

ـ اختتم الاستاذ صافية خطابه قائلاً هذه صورة من كفاح رجل مخلص لأمته شاءت التناقضات العربية والدسائس الصهيونية والدولية ان يتهم بالباطل وان يصدر عليه حكم بالاعدام وبالغرامات الباهضة وان يقضي نحو اربع سنوات في السجن لا رفيق له سوى (القرآن الكريم) وهو مهدد كل يوم لأن يدعى للمشنقة الى ان انقذه الله بوساطة عدد من رؤساء الدول العربية والاسلامية وبالاخص جلالة الملك محمد الخامس ملك المغرب ورؤساء العالم الثالث وغيرهم الذين عرفوا قيمة جهاده واخلاصه ودفاعه عن الحق والحرية حيثما كان. وقامت (تونس) بدعوته للاقامة فيها ضيفاً معززاً حيث واصل جهده العلمي والفكري في سبيل المبادئ التي آمن بها حتى وافته المنية. رحم الله الجمالي وعزاء لقرينته وانجاله واصدقائه وعارفي فضله في كل مكان. (ترجمة وتلخيص ع.غ.د)

كلمة الاستاذ برهان الدجاني

الأخ الكريم الاستاذ عبد الغني الدلي حفظه الله
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
أكبرت فيكم وفي النخبة الطيبة إقدامكم على اقامة حفل تأبين للمرحوم الخالد الذكر الدكتور محمد فاضل الجمالي. فان الدكتور الجمالي يستحق ان يستذكر دائما، لما قام به في حياته من جليل الاعمال ولما خلفه للاجيال القادمة من جليل الافكار.

الدكتور فاضل الجمالي كان من «الرعيل التأسيسي» للفكر القومي العربي جنبا الى جنب مع الاستاذين الكبيرين ساطع الحصري وقسطنطين زريق. وكان له مثلهما فضل على أجيال عديدة من خلال مهماته التربوية الكبيرة والتي كان لها الاثر العظيم في بناء الصرح التربوي في العراق، ذلك الصرح الذي وصل بالعلم العراقي الى مستوى يضاهي المستويات التي توصلت اليها المجتمعات الحديثة. ولاَ شك ان الاندفاعة التي احتواها النظام التعليمي العراقي ستمضي قدما رغم كل الصعاب والتقطعات التي يعانيها العراق وشعبه ظلما وتجبرا ـ وربما خشية من اطلالته على العالم الحديث.

ولن تنسى له الامة العربية ولا شعب فلسطين دفاعه عن قضية فلسطين في الامم المتحدة، وعمله لهذه القضية في جميع المجالات العربية والدولية باندفاع وايمان كان لهما ابلغ الاثر في الفترات الصعبة التي مرت بها القضية، والتي لا تزال وستبقى حتى تحرير ارض فلسطين كلها محط النضال لكل مناضل شريف يؤمن بالحق والعدل، ولكل مسلم مؤمن بالحق الاسلامي في ارض الاسراء والمعراج، ولكل عربي مؤمن بواجب العرب في تحرير كل شبر من ارضهم وارساء سيادتهم على وطنهم بأكمله.

وفي خضم التيارات العنيفة التي اجتاحت المجتمعات العربية بأكملها ومن بينها المجتمع العراقي، والتي تصارع فيها اليمين واليسار والقومية والشعوبية والطائفية. والتي تمادت في بعض الاحوال الى مستويات التطرف، وحتى التطرف الدموي، فان فاضل الجمالي كان يمثل دعوة التعقل والاعتدال والنظرة الموضوعية الهادئة الى الاحداث والافكار والرجال.

فكان بذلك يمثل اللقاء العظيم ما بين النظرة العلمية الحديثة والايمان الراسخ بالله عز وجل، وبالاسلام ورسالته الى البشرية جمعاء. فاذا تحدثنا عن العلم والحداثة، فهو رجل العلم والحداثة. واذا تحدثنا عن القيم والاخلاق فهو رجل القيم والاخلاق. واذا تحدثنا عن الايمان فهو رجل الايمان. واذا تحدثنا عن التفاعل ما بين تراثنا العظيم والحضارات المستجدة والمحيطة، فهو العارف بجوهر التراث وارتفاعه فوق كل شبهة وقدرته على استيعاب كل مستجد دون خسارة شيء من جوهره واصالته وثباته على مدى الدهر.

وتلك هي الشجاعة العظمى وكل انطواء مناقض لها، انما يمثل وهناً في الايمان بالتراث الذي يحاول ان يدافع عنه.

فالاسلام وحي الهي في السلسلة الكبرى من الوحي التي اعطت الكتب والانبياء والرسالات والديانات بحيث استوجب على المسلم ان يؤمن بالكتب والرسل والانبياء جميعا لا يفرق بينهم.
والاسلام دين العقل دعا الى المعرفة وسيلة لتقدم الحياة وللوصول الى الايمان، فالوحي والعقل في نظره طريقان للوصول الى المعرفة الالهية.
ان انسانا توصل الى منصب رئيس الوزراء في العراق ولم يحتج هذا المنصب بل اصبح اسمه كافيا له تكريما وتشريفا.
ان انسانا لم تجرحه الاقاويل والمحاكمات، ولم تنقص من محبة الناس له واحترامهم لفضله ومكانته، بل زادتهم تقديرا لعمله الكبير.
ان انسانا استهان بالحياة الدنيا ومفاتنها، وتفرغ للفكر والعلم والتعليم ولبث ولنشر رسالة الاسلام في الايمان والاخلاق ورسالة الوطنية الصحيحة التي تعلو فوق كل غرض ومزاج، ورسالة القومية العربية التي تؤمن بوحدة هذه الامة وضرورة تضامنها في عالم مليء بالاطماع. ان انسانا عربيا اختار العيش في بلد عربي، وارتضاه وطنا له، ومستقرا لحياته ومنطلقا لفكره المبدع.
ان انسانا عاش كل القيم والمثل التي أمن بها وتحدث فيها بين الناس جميعا وحافظ على وحدانية شخصيته دونما حاجة الى ارضاء يُخرجه عن المسار، لهو انسان فاضل يستحق الذكر الدائم بين الصالحين.

كلمة الاستاذ نجدة فتحي صفوة

في الرابع والعشرين من الشهر الماضي، سكت في تونس صوت صارخ في الدفاع عن القضايا العربية، وتوقف قلب كبير نبض أكثر من تسعين عاما بحب العراق، والأمة العربية، والاسلام، حين رحل عن هذه الدنيا الدكتور محمد فاضل الجمالي.
وانه لمن أصعب الامور أن يسرد المرء، في دقائق معدودة، كل ما تعيه الذاكرة من خدمات هذه الشخصية العربية لبلاده وأمته. فهي سيرة طويلة، حافلة، ملونة، مثيرة في جميع مراحلها، لم يتوقف نشاطها حتى يومها الاخير.
شبّه كاتب انكليزي حياة الانسان بقاطرة وضعت على سكة حديد قائلا انها تسير عليها حيثما تسير، وتستدير حيث تستدير، لا تحيد عنها قط، وتقف عندما تنتهي، ولا أعرف سيرة هي أشد انطباقا على هذا القول من سيرة الدكتور الجمالي.
فقد نشأ في الكاظمية، وبدأ دراسته في مدرسة الامام الخالصي، وأكملها في جامعة كولومبيا بنيويورك، ومارس التعليم والادارة في وزارة المعارف سنوات. ثم نقلت خدماته الى وزارة الخارجية، فقابل ذلك الانتقال الى حقل مختلف عن اختصاصه كل الاختلاف، بالتفاؤل الذي جبل عليه، وسرعان ما برز في العمل الدبلوماسي الذي وجد فيه مجالا

لخدمة بلاده وأمته لا يقل أهمية عن مجال التعليم. ولولا ذلك النقل الذي ربما امتعض له في البداية، لما أصبح وزيرا للخارجية ثمان مرات، ولا رئيسا للوزراء مرتين، ورئيسا لمجلس النواب مرتين أيضا. ولكنه مع ذلك ظل يفخر على الدوام بأنه «معلم» أولا وقبل كل شيء، وظل يردد ذلك وهو وزير، ورئيس للوزراء. ثم استدارت قاطرته استدارة خطيرة اخرى، فاذا به في زنزانة صغيرة مظلمة، محكوما عليه بالاعدام. فلما كتبت له السلامة، وخرج من وطنه الذي نشأ فيه، وخدمه، وأحبه بكل جوارحه، انتقل الى تونس واتخذها وطنا، وهو الذي كان يرى في كل بلد عربي وطنا له، ولكنني لا أظن أنه كان يخطر له ببال قبل ١٤ تموز ١٩٥٨ انه سيقيم في تونس ثلاثين عاما، ويوارى التراب فيها، وتكون تونس محطته الاخيرة.

مرت سيرة الدكتور الجمالي في ثلاث مراحل تكاد تكون مستقلة عن بعضها، وان كان ينتظمها خيط واحد من شخصيته وثقافته وآرائه ونظرته الى الحياة. فقد كان الجمالي الذي هيمن على وزارة المعارف في الثلاثينات شخصا مختلفا في طبيعة عمله وصلاحياته وشعبيته، عن الجمالي وزير الخارجية المزمن، وممثل العراق في الأمم المتحدة دورة بعد دورة، ورئيس الوزراء المثقف العصري الذي يختلف عن غيره ممن عرفهم العراق من رؤساء الوزارات في عقليته، واهتماماته، وهواياته، وعاداته، واختياره لوزرائه. ولا شك ان هذه المرحلة الثانية كانت ألمع مراحل حياته، وأهمها، وأخصبها في خدمة قضايا بلاده وأمته، وخاصة على الصعيد الدولي. وقد دامت خمس عشرة سنة.

أما المرحلة الثالثة، وكانت أطول من سابقتيها، فهي اقامته في تونس، وقد قضاها بعيدا عن الاضواء، وعاد خلالها الى التعليم، وتفرغ للكتابة والتأليف، ولم ينقطع عن متابعة مشاكل أمته، والدفاع عن قضايا العراق والوطن العربي والاهتمام بالحركة الثقافية في العالم العربي والغربي.

كان الدكتور فاضل الجمالي، على الرغم من تأثره الفكري بالغرب والثقافة الغربية وقضائه سنوات طويلة في امريكا، وزواجه من سيدة كندية، قد حافظ على القيم الاساسية لمجتمعه، فكان لا يشرب الخمر، ولا يدخن، ولا أحسبه أضاع دقيقة من وقته في ملهى، او جلس على مائدة ميسر، وكان بسيطا في مأكله، متواضعا في حياته اليومية.

كان متابعا للحركات الفكرية والسياسية في العالم، جماعا للكتب، تواقا الى المعرفة، محبا للموسيقى، حريصا على الاستماع الى كل محاضرة يسمح وقته بحضورها، وكل نشاط ثقافي يجده مفيدا، ينتمي الى كل جمعية خيرية او ثقافية يدعى لعضويتها، وكان من مؤسسي نادي المثنى (القومي)، ونادي القلم (الدولي)، ورابطة التربية الحديثة، وعشرات الجمعيات والنوادي ذات الاهداف القومية والثقافية المتنوعة.

وكانت القضية الرئيسية التي شغلت ذهنه ونشاطه في جميع مراحل حياته، هي قضية فلسطين. فقد دافع عنها بكل قواه، في المحافل الدولية، وفي المؤتمرات المختلفة، وفي كتبه ومقالاته. ولو جمعت كتاباته عن قضية فلسطين وخطبه في الأمم المتحدة عنها، لملأت عدة مجلدات.

كان رئيساً لوفد العراق في مؤتمر باندونغ للدول الآسيوية والافريقية في سنة ١٩٥٥ وطرحت في المؤتمر فكرة تقول بعدم مناقشة القضايا التي لا تزال محل خلاف مما قد يؤدي الى خلافات حادة تخرج بالمؤتمر عن غرضه الاصلي. وعارض «او ـ نو» رئيس وزراء بورما في ادراج قضية فلسطين في جدول الاعمال مدعيا انه طالما كانت اسرائيل غير ممثلة في المؤتمر فان الموضوع لا تجوز مناقشته. فانبرى له الجمالي قائلا اذا كان غياب اسرائيل يحول دون بحث قضية فلسطين، فان غياب الدول الغربية التي لها مستعمرات في آسيا وافريقية يجب أن يحول دون مناقشة مشاكل تلك الاقطار التي لا تزال تحت الاستعمار. وهدد بالانسحاب من المؤتمر اذا لم تدرج قضية فلسطين، فادرجت بفضل موقفه هذا.

ولذلك كان من سخرية الاقدار حقا أن يقف الجمالي أمام المهداوي في تلك المحكمة التي كانت وصمة عار في تاريخ القضاء، وأن تكون احدى التهم الموجهة اليه انه اشترك في المؤامرة على فلسطين. لقد كانت هذه التهمة أقسى ما سمعه في حياته، ولا يمكن أن تكون هنالك تهمة أبعد منها عن الحقيقة، ولا أكثر منها امعانا في الظلم والتجني والاسفاف.

ولم يقتصر اهتمام الجمالي على قضية فلسطين، فقد كان له صوت مدوّ في كل قضية عربية، ولم تمنعه خلافاته مع الرئيس المصري جمال عبد الناصر مثلا من الوقوف الى جانب مصر وتقديم كل ما في وسعه من دعم وتعضيد في سبيل جلاء بريطانية عنها. وقد كتب الى وزير خارجية امريكا دالاس مرة رسالة خاصة قال له فيها بصراحة غير مألوفة ان العلاقة بين امريكا والعرب لن تستتب ما لم تحل قضية فلسطين، ويتحرر شمال افريقية، وما لم يتم الجلاء عن مصر.

وبذل الجمالي جهودا متواصلة في الدفاع عن حقوق ليبيا في الاستقلال، وناضل في سبيل استقلال المغرب، وتبنى قضية تونس في الامم المتحدة، ودافع عن قضية الجزائر دفاعا متواصلا، ودعم مجاهديها ما وسعه الدعم والتأييد. وقارع فرنسة في المحافل الدولية حين أبعد الملك محمد الخامس عن بلاده، وكان من آيات الوفاء لدى ذلك الملك المجاهد أن رفض القيام بزيارته المقررة الى العراق طالما كان الجمالي محكوما عليه بالاعدام، فأجيب الى طلبه.

ولم يكن التونسيون أقل وفاء من اخوانهم المغاربة، ولم ينسوا دفاعه الحار عن استقلالهم، ووجه اليه الرئيس السابق الحبيب بورقيبة الدعوة للاقامة في تونس بعد محنته في العراق، فقبل الدعوة شاكرا ولكنه رفض أن يقيم فيها عاطلا، ولم يقبل أي معونة مادية ما لم يقدم لقاءها عملا، فعاد الى مهنته الاولى، ودرس في جامعة تونس حتى سنواته الاخيرة. وكرمته تونس باطلاق اسمه على أحد شوارع العاصمة.

دافع عن استقلال اندونيسيا، وكافح لأجل استقلال الصومال، وحارب التمييز العنصري في جنوب افريقية، وآزر الشعوب الآسيوية والافريقية في نضالها.

كان ـ كما قال عن نفسه في المحكمة ـ مع الدول العربية في كل قضاياها، ومع الشرق دوما ضد الاستعمار الغربي، ومع الغرب دوما ضد الانتشار الشيوعي، أما الصهيونية فكان مفندها الأول، وخصمها الالد الذي قضى حياته في محاربتها بلا هوادة.

وفي السياسة الداخلية حاول الجمالي، وخاصة خلال رئاسته للوزراء، وهي لم تزد في مجموعها عن ثمانية أشهر، أن يقوم بما في وسعه من اصلاحات. فقد ألغت وزارته الاحكام العرفية، وسمحت للصحف المعطلة بالصدور وأفرجت عن الطلاب المعتقلين، وأطلقت حرية الصحافة الى حد لم يعرفه العراق في أي عهد. وقد تعرضت وزارته لهجمات الصحافة وانتقاداتها المحقة والظالمة، فتحملتها بصدر رحب، ومن الطبيعي ان الحكومة التي تمنح مثل تلك الحريات، تكون عادة أولى ضحاياها.

كان الجمالي يؤكد في كل مناسبة أن مصلحة العراق تقضي باتباع سياسة الملك فيصل الاول، والسير على هدى المبادئ التي وضع أسسها ولم يكتب له أن يتم رسالته في بنائها.

وكان في جميع أعماله ومراحل حياته مؤمنا بالقومية العربية داعية للوحدة العربية، ومن المؤسف أن تعد محاولاته لتحقيق الوحدة مع سورية مؤامرة على ذلك القطر العربي الشقيق، حتى كاد أن يعدم بسببها.

وكان من أسس سياسته ومبادئه الراسخة مقاومة الشيوعية باعتبارها استعمارا من نوع جديد يهدد كيان الامة العربية ومبادئها وقيمها.

وكان منذ نشأته مؤمنا بمبادئ الاسلام، ولكنه تعمق في دراسة القرآن الكريم ومبادئ الدين الحنيف خلال سنوات سجنه وازداد تمسكا بشعائر الاسلام بعدها. ومن السجن كتب رسائل الى ولده عن الاسلام، نشرت بعد ذلك في كتاب.

عاش الجمالي لهذه المبادئ، ومات في الرابعة والتسعين، والقلم في يده المرتجفة يدافع عنها حتى اللحظة الاخيرة، رحمه الله، وألهم أسرته الكريمة وأنباءه البررة وأصدقاءه المخلصين، الصبر والسلوان.

خطاب السيد بيتر ايفرنكتون

من اعضاء حركة التسلح الخلقي - بريطانيا

Memores of Moral Re-Armament Movement - Britain

انه لشرف لي أن ادعى للخطابة في هذا الحفل التأبيني للدكتور الجمالي باسمي وباسم اصدقاء الفقيد من اعضاء حركة التسلح الخلقي في اقطار عديدة من العالم بلغت عشرين قطراً، اولئك الذين التقوا به في مؤتمرات الحركة في (كو - سويسرة) والمبادئ والمواقف التي كان يتبنّاها ويدافع عنها.

لقد حمل الفقيد نظرة عالمية شاملة تكونت لديه بدايةً في مرحلة دراسته الجامعية، في الجامعة الامريكية - بيروت في العشرينات حيث التقى هناك مسيحيين، ويهوداً الى جانب المسلمين من بلادٍ اخرى، وقد اصبحوا فيما بعد من قادة الشرق الاوسط. اعتقد ان (سنت اوغسطين) هو الذي وضع قواعد النقاش الاساسية: قاتل الخطأ وأحبَّ الناس.

عندما كان الجمالي ينتقد اخطاء بلدك كان نقده لاذعاً بل قاتلاً ولكنه كان يقترن دائماً بالرقة نحوك كانسان. لكل انسان مكانته عند الله. ربما كان اكثر من نصف العالم في الوقت الحاضر لا يهتم بالعدالة نحو الاشخاص الآخرين او البلاد الاخرى. **وربما كان نصف العالم تقريباً يحارب في سبيل العدالة بروح الكراهية.. وتبقى جماعة صغيرة هي التي تجاهد في سبيل العدالة دون مرارة.. تلك مزية من المزايات النادرة في هذا العالم وكان الجمالي واحداً من ابرز المتصفين بها والممارسين لها.**

لقد جاء لحركة (التسلح الخلقي) من خلفية اسلامية ورأى فيها تعبيراً عن الآية القرآنية الكريمة «إن الله لا يغير ما بقومٍ حتى يغيروا ما بأنفسهم». لقد آمن أن الله يمكن ان يغير ليس المنطقة التي جاء منها فقط بل حتى دول الغرب التي عانى الشرق الاوسط على يدها الكثير من الإساءات والآلام.

لقد اثنيتم بحق هذا المساء على (الجمالي) كمربٍ واداري ومحرر ورجل دولة. انني وزوجتي، ننظر اليه بالاضافة الى هذه المنجزات، كأصدقاء عائليين.

ان والد زوجتي كان استاذاً للجراحة في جامعة الموصل لمدة ثلاث سنوات وكان هو ووالدة زوجتي يزوران (ساره) في بغداد خلال السنوات التي كان الجمالي فيها سجيناً، ليخففا من عزلتهما عن العالم الخارجي. وبعد ذلك كنا نلتقي بهما سنة بعد اخرى، في ادنبرة، او لندن عندما كانا يأتيان بزيارات عائلية.

من الحق ان ننظر الى الوراء لنحيط بحياة رجل غطّت انجازاته معظم هذا القرن. ولكنني اعتقد ان الجمالي، رجل التربية، يريد منا في هذه اللحظات ان نفكر في احفاده وفي معاصريهم من مختلف انحاء العالم، وفي المستقبل الذي سيرثونه في القرن القادم.

انه ترك لهم نموذجاً لانسان عظيم عليهم أن يقتدوا به.

كلمة الاستاذ عصمت كتاني

أيها الحفل الكريم

قبل خمسة وأربعين عاما، في تموز ١٩٥٢ وقّع وزير خارجية العراق المرحوم محمد فاضل الجمالي أمر مباشرتي تلميذا دبلوماسيا في مقر الوزارة. وأذكر أنني التقيت به لأول مرة بعد ذلك بأسبوع في مناسبة اجتماعية، فقدمت له نفسي مترددا. بعد أن هنأني على تعييني دخل معي في حديث طويل سائلا عن دراستي وخلفيتي... فشعرت فورا بتواضعه الخالي من أي تكلف والذي اشتهر به مدى الحياة. لم أكن أتوقع من شخصية سياسية بمنزلته أن يترك الآخرين ليتبسّط في الحديث مع موظف جديد لم يتعد الثالثة والعشرين من العمر.

بعد ست سنوات من ذلك، في حزيران ١٩٥٨، دخل عليّ المرحوم في مكتبي الصغير في ممثلية العراق الدائمة لدى الأمم المتحدة وكنت أقل موظفيها قدما. جلس جنبي يسألني عن

الكتاب الذي كنت أقرأه وبعد حديث شيقّ حول الامم المتحدة ومواضيع شتى دعاني للغداء. ثم كرر الدعوة بعد ذلك اليوم مرتين خلال آخر اسبوع من بقائه في نيويورك. سنحت لي فرصة نادرة للانفراد به خلال تلك الساعات ووقفت على صفات اخرى كان يتحلى المرحوم بها. رأيت فيه رجلا مليئا بتفاؤل دائم لا تفارقه البشاشة. وأطلعت عن كثب على حبه العميق للمعرفة في شتى المجالات. والمعروف عن المرحوم انه كان يقتني الكتب وكأنه في سباق مع الزمن. وكل من زار دارته في بغداد ومكتبته العامرة شاهد على ذلك.

قبل عامين تكللت جهودنا في الأمم المتحدة بتوجيه دعوة الى الفقيد لحضور الذكرى الخمسين لانشاء الامم المتحدة بصفته أحد الموقعين على ميثاقها ممثلا للعراق في عام ١٩٤٥. أعتذر عن الحضور لأسباب صحية في رسالة رقيقة مليئة بالعواطف والمبادئ.

قال المرحوم في احدى مقابلاته المتلفزة، كما أذكر، انه عراقي، عربي، مسلم، انساني. ان الذين عرفوا الجمالي عن قرب لم يفاجأوا بانه وضع عراقيته قبل كل اعتبار آخر لأنهم يعلمون ان ذلك لا يقللّ قيد شعرة من عروبته او اسلاميته او انسانيته بل يعزز شأنها جميعا.

وأخيرا يذكّرني بالمرحوم قول الشاعر (أحمد شوقي على ما أذكر):

دقات قلب المرء قائلة له
ان الحياة دقائق وثوان
فاجعل لنفسك بعد موتك ذكرها
فالذكر للانسان عمر ثان

لا شك عندي ان العمر الثاني لمحمد فاضل الجمالي الذي بدأ قبل أربعين يوما سيدوم أضعاف أضعاف عمره الاول.

رحمه الله وأسكنه فسيح جناته وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان.

وإنا لله وإنا اليه راجعون.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

رسالة الاستاذ حسن الامين

إذا كان من رجل في العرب يصح أن يطلق عليه في حياته لقب «الشهيد»
فذاك هو «فاضل الجمالي»

لقد استشهد فاضل الجمالي في اليوم الاسود يوم ١٤ تموز ١٩٥٨. وإذا كان الشهداء يلقون وجه ربهم ساعة يستشهدون، فان فاضل الجمالي استشهد ولكنه ظل حياً يشاهد وطنه ينحدر في دركات الهوان يوما بعد يوم حتى وصل الى ما هو عليه اليوم.

وهل أشجى في الاستشهاد من أن الرجل الذي وقف على أعلى منبر عالمي يدافع عن حق العرب في الاستقلال والحرية، وقف يناضل عن أمته في شطرها الافريقي: ليبيا وتونس والمغرب، صارخا في وجوه المستعمرين صراخ الأباة الشجعان: ان هذه أمتي العربية العريقة

في أمجادها لن تتحمل بعد اليوم هوانكم ولن تصبر على استعماركم، فهي تهب ثائرة عليكم وأنا لسان ثورتها الذي ينذركم.
هذا الذي وقف على أعلى منبر عالمي يمثل النخوة العربية في أسمى معانيها وأشرف مطاويها يجلله الفخار وتطوقه الكرامة. مرفوع الرأس عالي الهامة أشم الأنف.
فاضل الجمالي هذا يساق ليلاً بأيدي العرب، من كان يقف بالامس في قاعة الامم المتحدة مدافعاً عن قضايا العرب ببلاغة العرب. يساق الى محكمة المهداوي لتتحول بلاغته من الدفاع عن شعوب الامة العربية في أرفع منصة عالمية الى الدفاع عن نفسه في أحط منصة عربية.
هذا هو الاستشهاد... وهذا هو الشهيد الحي.
من بيروت أتحدث اليكم، بيروت التي قضى فاضل الجمالي في جامعتها أنضر أيام يفاعته. فكان الطالب المجد الذي يرأس فيها جمعية الطلاب العراقيين ثم جميعة العروة الوثقى الذي تضم شباب العرب من كل أقطار العرب.
هذا الطريق الذي بدأ فاضل الجمالي مساره هو جوهر حياته ومجلي مبادئه، وهو الذي وفى له ما استطاع الوفاء، وواصل السير فيه ما ساعفته الطاقة.
رئيس جمعية الطلاب العراقيين، من ذلك الوقت له مكان الصدارة بين العراقيين.
ومن ذلك الوقت كان العراقي الصميم الذي يعتز بعراقه ويفخر بالانتماء اليه.
ولكن عراقيته لم تتخل به عن أمته العربية الكبرى، ولم تنسه أنه العربي الاصل الذي ينتمي الى أمة المجد والكرامة. لذلك رأيناه بعد رئاسة جميعة الطلبة العراقيين في الجامعة رأيناه رئيساً لجمعية العروة الوثقى - وجمعية العروقة الوثقى كانت تضم النخبة العربية الملتقية على مقاعد الدراسة الجامعية في بيروت.
تلك النخبة التي كانت تتطلع الى آفاق العرب الملبدة بالضباب الحاجب عن الرؤية المبدّد للتطلع.
كانت تتطلع الى آفاق العرب لتعد نفسها في أيامها القادمة لتبديد الضباب وإنارة السبيل.
رئيس جمعية الطلاب العراقيين ثم رئيس جمعية العروة الوثقى - تلك هي الخطوة الاولى التي خطاها فاضل الجمالي في مطلع حياته نحو المستقبل القادم. وتلك هي الشعار الذي أطلقه في كل خطوة خطاها.
من رئيس جمعية الطلاب العراقيين في بيروت الى مبرمج مسار الطلاب العراقيين في بغداد ومخطط تثقيفهم وموحد أهدافهم.
من الطالب العراقي البارز في الجامعة الى المدير العراقي البارز في الدولة. ومن الفتى العربي المشتعل بالآمال العربية الى الرجل العربي العامل على تحقيق تلك الآمال.
لقد وفى فاضل الجمالي لما أخذ نفسه به منذ ان وعي الحياة طالباً الى أن مارسها عاملاً.
فرأيناه في العراق يصل الليل بالنهار لتوجيه التعليم الوجهة الصحيحة. فعلى كتفيه قامت النهضة التعلمية في العراق يوم كان مديراً للتربية والتدريس.

ثم انطلق في الميدان الارحب، ميدان الامة العربية كلها فرأى أن داءها العضال هو في تمزق وحدتها وتشتت شملها، فوضع نصب عينيه تحويل التمزق الى التوحد والتشتت الى التجمع.
ورأى أن أقرب قطرين من أقطارها الذين يجب أن يلتقيا بعد الفراق هما سوريا والعراق لتتكون، فيهما النواة الاولى للوحدة العربية. فعمل جاهداً وهو وزير للخارجية طوراً ورئيس للوزارة طوراً آخر على الوصول الى هذا الهدف العظيم. ولم يدر أن العمل على الوصول الى هذا الهدف سيكون التهمة الكبرى التي ستدينه ويعاقب من أجلها. بل هو الذنب الاكبر الذي يحكم عليه بسببه بالموت.
والذي يقرأ تفاصيل مخازي محكمة المهداوي، يرعاها يقطع نياط قلبه أسفاً على أمة يحكم فيها من سعي الى توحيد تلك الامة، ويهان من سعي الى اعزاز كرامة تلك الامة.
ولكن اذا كان العقوق من سجايا بعض العرب، فليس العرب كلهم «عبد الكريم قاسم وفاضل المهداوي وماجد محمد أمين»، فالعرب الاوفياء كانوا أبداً في الطليعة من الناس، كانوا في المغرب وفي تونس وفي غيرها من الاقطار العربية.
والعراق الذي أنبت قاسم والمهداوي وأمين، أنبتكم أنتم أيها المخلصون الاوفياء الكرام.
فجئتم باحتفالكم هذا لتبرزون الشمائل العراقية الاصيلة، والسجايا العربية العريقة التي من أوضح معالمها الوفاء.
فسلام على فاضل الجمالي طالباً في الجامعة ومديراً ثم وزيراً ثم رئيساً في العراق.
وسلام عليه وهو رائد من رواد الوحدةالعربية حيثما كان.
وسلام عليه وهو رهين سجن الطاغين الادعياء. وسلام عليه وهو في جدثه تحت التراب.
وسلام عليكم أنتم أيها المحتفلون. يا نخبة من أنجب نخب العرب وأوفاهم.

رسالة الدكتور ابراهيم بيضون

قد يعيشون على قارعة التاريخ، او يقيمون بماء على الضاف البعيدة، على أنهم ومهما طال الزمن، لم يخرجوا منه،ام نقلتهم رياحه الى مجاهل النسيان.
قد يتوارون، ولكن ليس هربا من الماضي، بل زهدا في بطولات الحاضر الجوفاء. فلكل زمانه ودوره، والتاريخ وحده.في النتيجة، القادر على فك الرموز. واصدار الاحكام الملائمة، بعيدا عن الضجيج وأبواق المواكب وسطوة الحاكمين.
من يعيد الاعتبار غدا للكثيرين ممن ثاروا على الطغيان، ثم طغوا، او فعلوا ذلك وكانوا ما يزالون تحت عباءة الثورة المزعومة. من يستطيع الجزم بأن ثوار الامس، كانوا أقلّ صفاء، او أنهم جميعا خانوا أمتهم وشعوبهم.
كذلك الرجعية، وهي تهمة كالزندقة في عصور غابرة، أخذت في طريقها أبرياء، رأت السلطة قصورا فيهم عن المديح والاطراء والنفاق.

لعل وقتا يأتي، او أتى بالفعل، نستعيد فيه قراءة، أولئك الساسة، ربما جميعهم، الذين صنعوا تاريخ العراق الحديث، وبعضهم كان شديد الحضور فيه. لقد طوتهم الذاكرة وغمر أسماءهم الضباب، فيما الذين صادروا الوطن وقتلوا شعبه وغامروا بمصيره، يتربعون على عرشه ودائما باسم الثورة، وأجهزتها ما انفكت تردّد الشعارات المحنّطة لسنوات طويلة.

ولعله من حظ الدكتور فاضل الجمالي، أنه عاش ليتابع أحداث الرواية، فيشهد سقوط الذين حاكموه وعصره، واذا بهم وبـ«السلالة» الثورية من بعدهم، يلفظهم مبكرا التاريخ، فيما هو وان تعمد الانسحاب من دائرة الضوء، لا تنفك هذه تسطع من حوله فيتراءى لنا من خلالها هامة مرتفعة وروحاً تسبح في فضاء نقي، وارادة صلبة تجدّد الحوافز وترهق السنين الكثيرة على المنكبين.

لعله ايضا، وهو القادم أساسا من «الكاظميين» لم يتأثر بقيم المكان فحسب، وانما بلقب صاحبه الذي حمله في نفسه وفي مزاجه، فكظم صبرا وقلقا ومعاناة، قبل أن يغادر متشبثا بحقيبة الاسرار الى حيث أقام، ليكتب، وبقلمه «المهرب» فصلة الاخير.

وهكذا يدخل الدكتور الجمالي، الاكاديمي المثقف، او يعود الى الدخول في التاريخ كاتبا ومفكرا، وان حاول الحاقدون اخراجه سياسيا منه. على انه، وللمفارقة ـ كان قوميا حتى آخر نبضة في حياته، فيما استكانت أقلام «الثوار» وخفتت أصواتهم على هذا الطريق. وكان آخر ما كتبه في هذا الموضوع بالذات، وهو كتاب بعنوان «الأمة العربية الى أين؟»، ومن مقر اقامته في تونس، ما أنفك خطابه السياسي موجها الى الأمة العربية التي آمن بوحدتها وحضارتها ودورها الكبير. وكان الدكتور الجمالي ـ على ما عرفت من صديقه، أستاذنا الدكتور حسن الجلبي رئيس الجامعة الاسلامية في لبنان ـ أكثر ما يقلقه في أواخر أيامه، أن لا يرى كتابه العزيز مطبوعا. وقد صدق حدسه فرحل قبل أن يحتضن بعينيه آخر كتبه، «هذا الذي يوشك على الصدور» عن «شركةالمطبوعات للتوزيع والنشر» في بيروت.

لقد مضى الساسة الكبار الذي أسسوا تاريخ العراق الحديث.. سقط بعضهم من الذاكرة، وبعض آخر كان له شيء من الذكر في القليل من الدراسات والابحاث. على أن الدكتور فاضل الجمالي، سنجد له برغم العزلة التي اختارها، مكانا أرحب وبصمات أكثر وضوحا. وستراه الأجيال القادمة في الصورة البهية، وقد تبدد من حولها الضباب. صورة العالم الذي عزف عن «الركوب» الى السلطان فلم «يتّهم».

رحم الله الدكتور فاضل الجمالي. والعزاء لأسرته وأصدقائه، وكل الذين افتقدوا بغيابه، انسانا وصاحب دور وكاتبا كبيرا.

كلمة د. فاضل الجلبي

انه من دواعي اعتزازي ان أقف مشاركاً في مناسبة وطنية لرثاء شخصية وطنية كبيرة، فاضل الجمالي الذي احبّ العراق بكل جوارح قلبه واخلص له ايما اخلاص، بل يتملكني وانا في هذا الحفل التابيني المهيب شعور بالواجب ان اقول شيئاً بحق الرجل، وكأني اقدم اعتذاراً

له وللعديد من السياسيين العراقيين الوطنيين الذين خدموا العراق في العهد السابق لثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨، والذين ظلمهم الفكر السياسي المعارض آنذاك، مما كنت اؤيده، وذلك بوضعهم موضع التابع للفئة الحاكمة، في الوقت الذي كان هؤلاء السياسيين مختلفين عن تلك الفئة في سلوكهم وعقيدتهم ونظرتهم الى المجتمع.

لقد قدم الجمالي خدمات جليلة للعراق، خاصة في المجال الدبلوماسي الدولي الذي جعل منه شخصية عالمية مرموقة. غير انه من المؤسف ان الرجل لم ينل في بلده من التقدير بمثل ما حظى به من تقدير العالم الذي نهف لانقاذ حياته من حكم الموت الظالم الذي حكمت به ما كان يسمى بمحكمة الشعب الغوغائية، وذلك عندما تدخل العديد من الشخصيات العربية والدولية لالغاء حكم الاعدام الجائر. وكان من حب شمال افريقيا له ان اطلق اسمه علي احد شوارع تونس البلد الذي احتظنه ومنحه مواطنة الشرف ومات ودفن فيه، وذلك ثواباً للخدمات التي اداها لاقطار المغرب العربي في معركتهم ضد الاستعمار الفرنسي من اجل الاستقلال الوطني.

ان الصورة الناصعة التي رُسمت للجمالي خارج وطنه لم تكن تلك التي عُرف بها في داخله. لم يكن الجمالي شخصية مفهومة في العراق، ليس فقط في الفكر السياسي المعارض الذي كان يعتبره جزءاً من نظام غير شرعي، وانما في نفس ذلك النظام الذي خدم فيه واخلص له، ذلك ان الخلفية الفكرية الثرية للجمالي وميله للتغيير عن طريق الاصلاح السياسي، الاقتصادي وتجنبه العنف وثقافته الاسلاميةالغربية العالية وطبعه السمح والمتواضع كان من شأن كل ذلك ان يجعله غريباً عن الوسط اليميني ذي الافق المحدود الذي كان نوري السعيد رجله القوي والذي كان يقوم على الارث العثماني مما اقرّه وعمل به الاستعمار البريطاني الامر الذي يجعله بعيداً عن سمات الفكر الحديث الذي كان يميّز الجمالي. لقد تشرب هؤلاء الساسة بالفكر العثماني ـ الاتاتوركي الذي يرى في الاجراءات القمعية من زج الخصم السياسي في السجن او نفيه او اسقاط الجنسية عنه بنعته اجنبياً، او حتى اعدامه، وكذا في الترفع على الناس سلوكاً اعتيادياً ضمن القيم السياسية السائدة فيه، ويجد في المثقفين خطراً على كيانه مما جعل الجزء الاكبر من رؤوس النظام الملكي أميين بالمعنى الثقافي، ودفع بالعديد من المثقفين الى المعارضة السياسية السلبية مما اضر بالاستقرار السياسي للبلد.

لم يكن الجمالي هكذا، بل كان مثقفاً بالمعنى الواسع، ليس بسبب درجاته الاكاديمية العالية، وانما لكونه قارئاً جيداً يحب الكتاب في وسط سياسي لا يعرف الكتاب ان لم يكن يكرهه، كما كان مولعاً بالموسيقى الكلاسيكية وله اطلاع واسع بها. ان ما كان يشغل الجمالي من حب الكتاب والثقافة العالية، لم يكن ليشغل بال هؤلاء الساسة ورثة الهيمنة العثمانية. بقدر ما كانت تشغلهم الصراعات الشخصية على السلطة، ولو على حساب استقرار البلد السياسي، كإقحام الجيش في السياسة وتحريك العشائر ثم قمعها بدون رحمة وتفجير الفتن الطائفية، مما حال دون تكوين المجتمع المدني العراقي الذي كان يهتم به الملك فيصل الاول رحمه الله.

وعندما نضع الجمالي في اطار الحكم الزجري اليميني الذي كان فيه، نجده ديمقراطياً متسامحاً يؤمن بحرية الفكر، وعندما كلف بتأليف الوزارة خلفاً لنوري السعيد، اعاد اجازة الاحزاب السياسية و اطلق حرية الصحافة بمختلف الوانها، حتى الشيوعية منها، والتي كان النظام العقابي السائد في العهد الملكي يعتبر ترويجها جريمة يعاقب عليها القانون وفقاً للمادة ٨٩ آ سيئة الصيت.

وان كان الجمالي رجلاً غير مفهوم من قبل النظام الذي خدم فيه واخلص له، فمن باب اولى ان لا يكون مفهوماً من قبل الفكر السياسي المعارض مما كان يسمى بالحركة الوطنية، الذي كان محدوداً في افقه السياسي وفهمه للتطورات الاجتماعية، والذي لم يكن اقل تزمتاً من عقلية النظام الحاكم آنذاك. ان تاريخ المعارضة السياسية في العهد الملكي يشير بوضوح الى رفض كل ما كانت الحكومة تقوم به في جوانب ايجابية وعدم قبول الحوار مع الحكم من اجل تحقيق بعض الاصلاحات، بل كان الرفض الدائم لكل ما تقوم به الحكومة من اعمال وان كانت جيدة، كموقف المعارضة الضحل والسلبي حيال السياسة الاعمارية العظمية في العهد الملكي، مما كان يعتبر تجربة رائدة في التنمية. وتاريخ المعارضة يشير ايضاً الى طلب التغيير عن طريق العنف والانقلاب العسكري، وليس عن الطريق السلمي وتنمية الممارسة الديمقراطية والعمل السياسي، كما لم تكن قادرة على تمييز الاشخاص والسياسيين في السلطة والتحاور والتعاون مع الاخيار منهم من اجل تقويتهم. بل اتباع وسيلة التهجم والاتهام بالعمالة للاجنبي لكل من هو في الحكم مما اضّر بالحياة السياسية وتنمية قاعدة الاستقرار السياسي، والذي ساهم في ايصال الاوضاع في العراق الى الدرك الذي نحن فيه. والجمالي بعد هذا كان عفيف اليد واللسان، وكانت حياته بسيطة للغاية واقرب الى التقشف في بلده وفي منفاه، وكان مؤمناً ينظر الى الحياة نظرة فلسفية، فقد قرأت في فصل مؤثر في سيرة الجمالي التي كتبها هاري آلموند بعنوان «رجل دولة عراقي»، عن فترة الثلاث سنوات التي قضاها في السجن، كان اكثر من نصفها محكوماً بالاعدام، وكان يقول «كلما اسمع صباحاً اقدام رجل نحو زنزانتي، لا اعرف هل ان الرجل قد أتى لي بفطوري ام جاء ليأخذني الى المشنقة»، مؤمناً بان حياة الانسان بارادة الله، ولا بد للانسان ان يموت، سواء بحادث طائرة او على حبل المشنقة، ويروي الكاتب ان زوجته الوفية كانت تقول له عند زيارتها السجن «انهم سوف لا يشنقوك لأنك انسان ثمين». وهكذا عاش صابراً وقابلاً للمحنة التي كان فيها، مردداً الآية الكريمة «والعصر ان الانسان لفي خسر. ألا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر» تلك الآية على قصرها يرى فيها المفكر والدبلوماسي الالماني بيتر هوفمان الذي اعتنق الاسلام جوهر الاسلام وطبيعة المسلم الصحيح الذي يؤمن بالله واليوم الآخر، ويعمل صالحاً حيال الغير والمجتمع الذي يعيش فيه ويقف مع الحق ويتحلى بالصبر عند الملمات.

كلمة اخيرة بحق الجمالي وموقفه في حرب الخليج وانتقاده الشديد للسياسة الامريكية الهادفة لتدمير العراق وتجويع شعبه، مما فسّره خطأً البعض من اطراف المعارضة بانه تأييد

لحكم صدام حسين وطروحاته. ان موقف الجمالي في هذه القضية انما هو موقف وطني بحت، ولا علاقة له بالنظام الحاكم في بغداد. وانما لفهمه الصحيح لميثاق الامم المتحدة الذي وقعه قبل خمسين عاماً باسم العراق، والذي يجعل استمرار الحصار على العراق امراً غير شرعي، لأن الحصار الدولي قد فُرض على العراق بهدف اخراجه من الكويت، الامر الذي جعل استمراره بعد خروج العراق منه غير مُبرّر من ناحية القانون الدولي، وموقف الجمالي حيال هذه القضية موقف سليم، لانه يفرّق بين امرين، هما مصلحة العراق بقطع النظر عن من يحكمه، وبين النظام الذي جلب المصائب على العراق، والذي لا يهم الولايات المتحدة اسقاطه، ولم تتخذ اية خطوات حقيقية او سياسية واضحة بهذه الاتجاه، في الوقت الذي تملك فيه سياسة واضحة من الاقتصاد العراقي وابعاد النفط العراقي عن الأسواق العالمية وعدم تأهيل الاقتصاد الوطني وصناعته النفطية، وذلك تنفيذاً لاغراض تتعلق بمصالحها الاستراتيجية في الخليج والعالم.

رحم الله الجمالي، ذلك الوجه المثقف والديمقراطي لعراق الأمس.

كلمة د. اسامة محمد فاضل الجمالي

الله أكبر، الله أكبر

- ماذا بقي لي أن أقوله؟ إلا الشكر محملاً هذه الكلمة كل المشاعر التي يعجز اللسان التعبير عنها. واذا كان لي أن أضيف شيئاً فلربما بعض الكلمات عما قدمه محمد فاضل الجمالي كوالد وكمرب لأولاده:

بداية، لقد أحسن اختيار الوالدة التي رأى في خصالها وطبيعتها ما يجسد خلق الاسلام الصافي متمثلاً باندفاعها نحو اصلاح ما تراه من فساد في المجتمع، وقد علمتنا التفكير المنطقي الذي يميز بين الصالح والطالح، والاعتماد على النفس في اتخاذ القرار.

ثانياً: قدم المثال (القدوة) لأولاده في الصدق والاستقامة والتواضع أمام الله، فالعزة لله شعاره المنحوت على خاتمه. ومن خصاله الرأفة بالانسان والحيوان، فكم من مرة نفيق في الصباح لنجد كلباً جديداً في الحديقة يكون قد صاحبه اثناء مشاويره على ضفاف دجلة في ساعات ما بعد منتصف الليل.

ثالثاً: المحيط الذي وفره لنا:

أ - استقطبت مجالسه خيرة المفكرين من زملاء وتلامذة، وكان الجو مفعماً بالحماس الوطني وبالرغبة لتطوير الامة وتوحيد الصفوف.

ب - علمنا احترام المربي، فكان يجلس، عند زيارته لأساتذته في الكاظمية، جلسة التلميذ المطيع، ولقننا واجب تقبيل يد الاستاذ، وما فتئ يردد:

«من علمني حرفاً ملكني عبداً»

و« لولا المربي لما عرفت ربي »

والزجل اللبناني:

الله يرحم اللي خلفونا

شگد تعبوا دي ربونا

علمونا حب الناس

حتى الناس يحبونا

ج - المكتبة، أهم ما في البيت كانت المكتبة، وقد بني بيتنا لأحتواء المكتبة أولاً ومن ثم العائلة التي سكنت فوق المكتبة. وقد نهلنا أوسع العلوم من محتويات المكتبة التي فتحت آفاق الخيال أمامنا.

د - الموسيقى، كان الوالد يقدر جميع أشكال الابداع الانساني، وقد شمل ذلك الموسيقى الغربية. فكنت أنام، وانا طفل، على أنغام موتزارت وبيتهوفن وشوبرت وفاغنر. وأوعز تمتعي اليوم بالموسيقى الى هذا التشرب المبكر من عمري.

رابعاً: تأثيره فلسفياً، حيث كان يدعو للوحدة والشمولية والانفتاح. وكونه مرب، كان يدرك تماماً ان الرقي بالفكر نحو الاعتراف بوحدة النوامس السماوية ووحدة الانسانية التي جعلها الله شعوباً وقبائل لتتعارف، تختلف من محيط الى آخر، ولا يأتي تطورها الا بوتائر يجب أخذها بالحسبان لتفادي ردود أفعال تعود بالأمور الى الوراء وتضيع ما يكون قد تم كسبه من تقدم.

ودعا الى اتباع أوامر الله للسير في الارض والنظر الى ما حولنا، محاولين الفهم والتفهم، فالعلم الصحيح غايته الحقيقة وهو هبة من الله خالق الكون ومن أعظم نعمه.

والآن اسمحوا لي ان اوجه بعض الكلمات باللغة الانكليزية الى اصدقائنا من غير العرب.

الشكر كل الشكر مرة اخرى أيها الأصدقاء المخلصين فقد خلدتم محمد فاضل الجمالي في قلوبكم كما سيخلده المولى، ان شاء، في جنانه الرحبة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مقتبسات كان يستشهد بها الجمالي في مجالسه

بسم الله الرحمن الرحيم

- وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله
- ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى
- المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا
- ليس منا من دعا الى عصبية
- ولي وطن آليت ان لا ابيعه

وان لا ارى غيري له الدهر مالكا

- وحبب اوطان الرجال اليهم

مآرب قضاها الشباب هنالكا

اذا ذكروا اوطانهم ذكرتهم

عهود الصبا فحنوا لذلكا

- وبالجملة ينبغي لأخواننا أيدهم الله تعالى ان لا يعادوا علما من العلوم او يهجروا كتابا من الكتب ولا يتعصبوا على مذهب من المذاهب لان رأينا ومذهبنا يستغرق المذاهب كلها ويجمع العلوم جميعها. وذلك انه هوالنظر في جميع الموجودات باسرها الحسية والعقلية من اولها الى آخرها ظاهرها وباطنها جليا وخفيها بعين الحقيقة من حيث هي كلها مبدأ واحد وعلة واحدة وعالم واحد ونفس واحدة محيطة جواهرها المختلفة واجناسها المتباينة وانواعها المفننة وجزئياتها المتغيرة.

اخوان الصفا، ١٩٥٧، رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا، دار بيروت ودار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ص١٠ مقدمة.

- «الما يسوقه مرضعه ... ضرب العصا ما ينفعه»

لا تنتهي الانفس عن غيها

ما لم يكن منها لها رادع

- فيا عجبا كيف يعصى الاله

ام كيف يجحده الجاحد

ولله في كل تحريكة

وفي كل تسكينة شاهد

وفي كل شيء له آية

تدل على انه واحد

- عن الشيخ محمد رضا الشبيبي

شباب طائش نزق

وشيب ما به رمق

وشعب طالب ثقة

فدلوه بمن يثق

- علال الفاسي قال:

انا سئمنا عيشة منقولة

لا تعرف التبديل والتجديدا

ولقد اردنا جدة محبوكة

لا ان تجيد النقل والتقليدا

- الولايات المتحدة واسرائيل

ان الافاعي وان لانت ملامسها

عند التقلب في انيابها العطب

- واخوان حسبتهم دروعا

فكانوها ولكن للاعادي

وخلتهم سهاما صائبات

فكانوها ولكن في فؤادي

- وقالوا قد صفت منا قلوب

لقد صدقوا ولكن عن ودادي

- بلاد العرب اوطاني

من الشام لبغدان

ومن نجد الى يمن

الى مصر فتطوان

فلا حد يباعدنا

ولا دين يفرقنا

لسان الضاد يجمعنا

بغسان وعدناني

دعوت على عمرو فلما فقدته

بليت باقوام بكيت على عمرو

أعدّها الدكتور عباس الجمالي بعمان المحروسة الخميس ٢٦ ربيع الاول ١٤١٨ - ١٩٩٧/٧/٣١ من احد دفاتر يوميات والده الدكتور محمد فاضل الجمالي رحمه الله.

مجموعة الرسائل الواردة

رسالة سمو الامير الحسن بن طلال
ولي عهد المملكة الأردنية الهاشمية

الدكتور اسامة الجمالي والدكتور عباس الجمالي،
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:
تلقيت بعميق الحزن والأسى نبأ وفاة الأستاذ الكبير والدكم المرحوم الدكتور فاضل الجمالي الذي فقدنا برحيله علما من اعلام السياسة والادب والفكر جريئاً مناضلاً، ورجلا فذا حقق حضورا متميزا ومكانا رفيعا داخل الوطن العربي وخارجه لقد كان مصابا جللا بفقدان رجل عظيم نذر سنوات عمره لخدمة امته وقضاياها القومية ونصرة الحق والجهر بالحقيقة مما اكسبه احترام وتقدير القاصي والداني على حد سواء. ومع تسليمنا بقضاء الله وقدره الذي لا مرد له فاننا لا نملك الا ان نتلقى رحيله بحزن الصابرين وسنذكر بالمزيد من الاعتزاز والتقدير دور الفقيد الكبير في خدمة الامة ومكانته الحميدة وسيرته العطرة التي طبقت الآفاق واننا والاسى يعتصر القلوب بفقدان علم من اعلام الامة في وقت نحن احوج ما نكون فيه الى امثاله من الشخصيات الفذة لنتضرع الى الله عز وجل ان يسكن الفقيد الكبير فسيح جنانه الى جوار الصديقين والابرار وان يجزيه عن امته خير الجزاء. ويظل حيا فينا فيما خلف ورائه من سمعة طيبة وارث سياسي وادبي كبير داعيا المولى عز وجل ان يلهمكم والاسرة الكريمة الصبر والسلوان وانا لله وانا اليه راجعون.
عمّان - ٣٠ / ٥ / ١٩٩٧

رسالة دولة الرئيس عادل عسيران
رسالة من دولة الرئيس عادل عسيران الذي زامل الفقيد الراحل في الجامعة الامريكية بيروت، وهو الزعيم الوحيد الباقي على قيد الحياة من زعماء استقلال لبنان، ترأس مجلس النواب اللبناني لعدة دورات وتقلّد مناصب وزارية مختلفة. أمد الله في عمره.

السادة آل الجمالي المحترمين
لندن
بمناسبة ذكرى وفاة فقيدنا الغالي، رفيق الدرب، المرحوم الدكتور فاضل الجمالي.
نجدد مشاطرتنا لكم حزنكم في هذا المصاب الاليم. ونعتبر غيابه خسارة على الجميع يفتقدها الخير والمروءة والخصال الحميدة.
عندما نتذكر الفقيد الغالي. فاننا نتيقّن مجدداً كيف أن الباري تعالى، يرفع من قدرة من يشاء من عباده لملاقاة الردى دون وهنٍ او انحناء.

وباحياء هذه الذكرى، نحيي ثقتنا بارتقاء الانسان وبفضائله، خصوصاً وأن المرحوم الدكتور فاضل ترك لنا وللاجيال القادمة الكثير من العبر في مواقفه والمؤلفات التي ستبقى منارة عبر التاريخ البشري.

نتوسل الباري عز وعلا أن يتغمده بواسع رحمته، ويسكنه فسيح جنانه ويلهمكم الصبر والسلوان.

على أمل اللقاء بكم في وقت قريب

الرميلة - لبنان - ٢٣ / ٦ / ١٩٩٧

رسالة الدكتور حامد القروي - الوزير الاول، الجمهورية التونسية

عائلة الفقيد الدكتور محمد فاضل الجمالي

علمت ببالغ التأثر بوفاة الدكتور محمد فاضل الجمالي الذي سخر حياته لخدمة العلم والتربية وللنضال من أجل نُصرة قضايا التحرر والعدل والاستقلال.

وبهذه المناسبة الاليمة أتقدم اليكم بأحرالتعازي والمواساة سائلا الله أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته ويُسكنه فسيح جنانه وأن يُلهمكم جميل الصبر والسلوان.

وإنا لله وإنا اليه راجعون

تونس العاصمة - ٢٦ / ٥ / ١٩٩٧

رسالة تعزية من الامين العام لحزب الاستقلال، معالي الاستاذ محمد بوستة وزير خارجية المغرب سابقاً

صحيفة «العلم» المغربية

لسان حزب الاستقلال

الرباط - ٢٨ / ٥ / ١٩٩٧

بعث الاخ محمد بوستة الامين العام لحزب الاستقلال برقية التعزية التالية الى عائلة الفقيد الكبير محمد فاضل الجمالي:

عائلة المغفور له الدكتور محمد فاضل الجمالي

علمت بمزيد الاسى والاسف بنبأ وفاة المجاهد الكبير الدكتور محمد فاضل الجمالي.

وقد توقفت اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال عند هذا الحدث المفاجئ لتترحم على روح الفقيد الكبير وتذكرت نضاله وجهاده في سبيل العراق والوطن العربي جميعه والمغرب على الاخص وبلادنا تذكر بمزيد من الفخر والاعتزاز الجهود التي بذلها المرحوم في سبيل استقلال المغرب يوم كان يتحمل مسؤولية الدبلوماسية العراقية، وكان في مقدمة القادة العرب الذين خرجوا بقضية استقلال المغرب من الافق الضيق بين شعبنا وفرنسا الى النطاق

الواسع العربي والدولي. وبلادنا لا تنسى الجهود التي بذلها صديق المغرب الكبير في تدويل قضية استقلال المغرب العربي الى رحاب الامم المتحدة والجامعة العربية، فكان بذلك رفيق كفاح لزعمائنا علال الفاسي واحمد بلافريج وغيرهم من قادة المغرب العربي.

وحزب الاستقلال يعتبر رحيل المناضل الكبير فاضل الجمالي خسارة للعرب جميعا، لما امتاز به الى جانب نضاله الوطني والعربي، من تفكير عميق في القضايا العربية والاسلامية ومن تتبع واسع لقضية كل قطر عربي، المغرب العربي وفلسطين في المقدمة.

ان خسارتكم في وفاة رئيس الاسرة المجيدة تعادل خسارة بلادنا في أكبر صديق كان معها في السراء والضراء واننا اذ نتقدم اليكم بصادق التعازي فاننا نتقدم الى الامة العربية والاسلامية والى شعبنا في المغرب العربي في وفاة صديقه العزيز ومناضله الكبير.

رحم الله الفقيد العزيز ورزقنا جميعا العزاء الجميل

إنا لله وإنا اليه راجعون

رسالة الاستاذ جاسم الصقر

رئيس مجلس النواب الكويتي سابقاً ورئيس لجنة الشؤون الخارجية في عدة دورات الى حين تنحيه عن الحياة البرلمانية لأسباب صحية.

الأخ الفاضل الأستاذ اسامة فاضل الجمالي المحترم

سلام من الله عليك ورحمته:

بداية أعرب لك عن تعزيتي ومواساتي بالفقيد الكبير المرحوم والدكم تغمده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جنته.

وللمغفور له والدكم الراحل دور فعال في المجال الثقافي والسياسي والاجتماعي في الوطن العربي من دوره الرائد في العراق الى تونس وسيذكره التاريخ كأحد البناة الكبار الذين أسهموا وأثروا ما ذكرت أعلاه.

أشكرك على التفاتك، رعاك الله مع أطيب تمنياتي وجزيل تقديري.

الكويت - ١٩٩٧/٦/٢٤

رسالة الاستاذ عبد المجيد شومان، رئيس ومدير عام البنك العربي

لقد وصلتني اليوم دعوتكم لحضور تأبين الفقيد الكبير الاخ الدكتور محمد فاضل الجمالي الذي سيقام يوم الجمعة الموافق ١٩٩٧/٦/٢٧ في قاعة الجمعية الجغرافية المكلية في لندن.

وكم كنت أرغب مشاركتكم حفل تأبين الفقيد الغالي لولا أن الدعوة لم تصلني في وقت مبكر خاصة وانني اعرف الدكتورالجمالي عندما كنا واياه في الولايات المتحدة الامريكية وكنا نسكن سوية في بيت الطلبة مع بعض الطلبة الاخوة العرب حيث كان الدكتور

الجمالي يحضر لنيل شهادة الدكتوراه من جامعة كولومبيا.
كان الأخ رجل دولة ورجل علم ومحب لوطنه العراق ووطنه العربي الكبير. وقد التقيت الفقيد في عدة مناسبات في العراق واوروبا وتونس.
رحم الله الفقيد وادخله فسيح جنانه.
عمّان - ١٩٩٧/٦/٢٨

رسالة الدكتور فخري شهاب

الأخ الكريم الاستاذ عبد الغني رعاه المولى وكتب له السلامة وراحة البال.
وبعد فقد تسلمت شاكراً دعوتكم لحضور حفلة تأبين صديقنا المشترك الراحل الدكتور فاضل. وقد كان بودي ان استجيب لدعوتكم. ولكنني كنت خارج لندن (حتى اول تموز) فلما وصلتها وجدت الدعوة وقد فاتني الموعد. كما جاءتني دعوة اخرى من اسامة ولم استجب لها للسبب نفسه.
ولا داعي للقول بأن رحيل الدكتور فاضل كان مصاباً شعرت به شخصياً فضلاً عن خسارة الامة اياه. فقد عرفته منذ نيف وستين عاماً وقد كان يرعاني ويعطف علي وفضله علي وافر لن انساه. وان جزعي بفقدانه لعظيم مع علمي اننا سنتبعه قريباً. ولولا هذا اليقين لما كان في حياة المرء صبر او عزاء.
ورجائي قبول معذرتي وتعزياتي والى لقاء قريب باذن الله ودم سالماً
لندن - ١٩٩٧/٧/٩

رسالة الدكتور سنان محمد رضا الشبيبي

خبير اقتصادي في منظمة التجارة العالمية التابعة لهيئة الامم - جنيف
الاستاذ عبد الغني الدلي المحترم
اشكركم جزيل الشكر على دعوتكم لحضور حفل تأبين الفقيد الدكتور فاضل الجمالي في لندن وكم كنت اود ان اتمكن من تلبية هذه الدعوة الكريمة الا ان مشاغل كثيرة وارتباطات مسبقة حالت دون ذلك.
ان الخسارة بفقد الدكتور الجمالي لهي خسارة كبيرة لنا وللعراق الحبيب الذي ساهم الفقيد في بناء اسسه وفي تعزيز دوره الدولي. ولا شك ان اكبر تكريم له، ونحن نؤبنه، هو في العمل لبناء عراق حضاري مسالم تسوده حرية الفكر والديمقراطية ويتمتع بمكانة مرموقة بين دول العالم.
رحم الله الفقد والهمنا واهله الصبر والسلوان
جنيف في ١٩٩٧/٦/٢٦

رسالة السيدة سمية الزهاوي

الدكتور فاضل الجمالي والمرأة

تقدمت لامتحان الانضمام للسلك الدبلوماسي العراقي، هذا الامتحان الذي عقدته وزارة الخارجية العراقية عام ١٩٥٣ وكنت قد اكملت دراستي في كلية الحقوق العراقية في بغداد وسافرت الى الولايات المتحدة الامريكية وحصلت على شهادة BSC في العلاقات الدولية تخصص الدبلوماسية الغربية وذلك من جامعة جنوبي كاليفورنيا في لوس أنجلس. اجتزت امتحان وزارة الخارجية بنجاح وقيل لي آنذاك بتفوق لكن قائمة المقبولين في السلك الدبلوماسي لم تضم اسمي وبعد مراجعات واستفسارات أعلموني ان سياسة الوزارة آنذاك لا تشجع فتح هذا الباب امام المرأة مع أن الاستاذة سرية الخوجة كانت موظفة في نفس الوزارة وقيل أن الاستاذة سرية نقلت من وزارة المعارف الى وزارة الخارجية نظراً لمكانتها الكبيرة ومركزها المرموق وثقافتها العالية وهذا حقيقي فقد كانت الاستاذة آنذاك علم من اعلام الثقافة في العراق وقيل لي ان هذا استثناء والوزارة لا ترغب في تشجيع السيدات للدخول في السلك الدبلوماسي.

بقيتُ حوالي سنة كاملة أحاول أن احقق حلمي وأن آخذ بحقي خصوصاً وليس هناك قانونٌ يمنع ذلك ولكن محاولاتي لم تنجح الى أن جاء الدكتور محمد فاضل الجمالي رحمه الله وزيرا للخارجية وطلبت مقابلة وشرحت له ما حصل لي وبعد اطلاعه على جميع الاوراق وعلى ملابسات الموضوع أصدر أمره الى الفور بتعييني في وزارةالخارجية العراقية وتنسيبي للعمل في المفوضية العراقية في بون وذلك سنة ١٩٥٤ وبهذا فتح الدكتور الفاضل الباب أمام المرأة العراقية للعمل في السلك الدبلوماسي. ولن أنسى ولن تنسى المرأة العراقية له هذا الفضل رحم الله الدكتور الاستاذ محمد فاضل الجمالي واسكنه فسيح جناته.

المستشار سابقاً في وزارة الخارجية العراقية

القاهرة ـ ١٩٩٧/٦/٢٦

رسالة من الدكتورة كارس واددي

احد الأعضاء العاملين في حركة التسلح الخلقي

ومتخصصة في الدراسات العربية والاسلامية

اشكركم على اعلامي بالاجتماع الذي سينعقد على شرف ذلك الرجل العظيم والصديق النبيل، دكتور فاضل الجمالي.

كنت اتمنى ان أكون معكم ومع عائلة الفقيد ولما لم يكن ذلك متيسراً لي فقد كلفت السيد بيتر ايفرنكتون أن يحمل لكم تحياتي، مع رسالة تأبينية للفقيد، «والله يفرّج عليكم بالصبر والسلوان».

٢٦ حزيران ١٩٩٧

خواطر عن الدكتور فاضل الجمالي بعد رحيله
بقلم الدكتورة كارس واددي

كتبت في ١٦ حزيران ١٩٩٧

اشكركم عظيم الشكر للفرصة التي اتحتموها لي لأعرب عن بالغ احترامي للصديق النبيل ولعائلته. ان حياة الدكتور الجمالي المديدة قد شملت كل عقدٍ من القرن العشرين وتركت أثرها على التطورات التي شهدناها نحن ابناء جيله.

في الثلاثين سنة الاخيرة، وهي المرحلة التي تلت مرحلة نشاطه السياسي واعتقاله، كنت اراه و(سارة) زوجته كل عامٍ اما في (كو- سويسرة) المقر الرئيس لحركة التسلح الخلقي Moral Re-Armament Movement، حيث كان يقدّم الكثير ويتلقى الكثير.. واما في (لندن) في طريقهما لرؤية ولدهما (ليث). وفي اغسطس الماضي كان متقد الذهن كما هو دائماً واعطاني مقالين له أحدهما بالعربية والآخر بالانكليزية لأضمهما لذخيرتي من كتاباته. ومن رسائل زوجته.

«ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية».. من الصعب ان يفكر المرء بـ (الجمالي) في ظلال السكينة والهدوء... انه واحد من أولئك الذين عرفوا اقصى درجات الشدة والانفعال.. وفي تلك الشدة وجد ايماناً راسخاً بالله.. وانه لا خيار للانسان امام ارادة الله كما هو وارد في القرآن الكريم ومنه قوله تعالى (ولعله خير لكم).

يقال ان الجمالي قبل، خلاف رغبته، قرار (نوري السعيد) بنقله من التعليم الى الدبلوماسية. ويروي ايضاً ان (صلاح الدين الايوبي) وافق على التوجه الى مصر بأمرٍ من «نور الدين» خلافاً لرغبته هو، مستشهداً بالآية الكريمة «ولعله خير لكم».

ان امثال هؤلاء الرجال لهم من قوة الايمان والاستقامة ما يجعلهم ينجحون في مواقف مستحيلة.

هذه النصوص والعبر الاسلامية النادرة فتحت الطريق امامي كلما فكرت في عمل شيء لردم الهوّة التي تفصل بين ابناء أمتي وبين الفكر الاسلامي.

لقد كان الجمالي مُفكراً مبدعاً الى جانب كونه مربياً في وقت كانت التربية فيه، كما كان يراها، هي اشد ما تحتاج اليه البلاد النامية. ويجب ان لا ننسى انه كان مهتماً بالتعليم الاولي كما كان مهتماً بالتعليم الجامعي، وفوق ذلك كله في تعليم وتأهيل المعوقين من امثال ولده البكر (ليث)... وكانت (سارة) زوجته هي التي فازت بوسام على الاعمال الخيرية التي قامت بها في هذا السبيل في (بغداد) وفي (تونس) ان الرحمة التي تولدت في قلبيهما من المعاناة والاعباء الذاتية هي البذرة التي ستأتي بالتغيير المنتظر في حياة اجيال من الاطفال المعوقين في القرن القادم.. وقد لا تبدو هذه التغييرات بنفس أهمية التغييرات التي كان الجمالي يسعى لتحقيقها في انظمة هيئة الامم.. لكنها قد تبعث بعون الله تياراً من الرحمة سيؤثر على مستقبل الانسانية جمعاء.

رسالة السيد ديفيد دنلوب نيوسم ـ واشنطن

(سفير امريكي سابق)

اقدم جزيل الشكر على اشعاركم لي عن اقامة حفل تأبيني لفاضل جمالي، يؤسفني انني والسيدة نيوسم لا نستطيع حضور الحفل.

ان آل الجمالي كانوا اصدقاء كرام لنا عندما كنا في بغداد في تلك الأيام السعيدة في اوائل الخمسينات.

لقد سجلت بعض الافكار بمناسبة وفاته في عمود اكتبه عادة لصحيفة «كريستن ساينس مونيتر». ارفق لكم نسخة منه.

٣ تموز ١٩٩٧

رسالة السيد ا. آر. ك. مكنزي والسيدة مكنزي

(سفير بريطانيا في تونس، سابقاً)

نعرب لكم عن شكرنا لدعوتكم ابانا للمشاركة في حفل تأبين المرحوم دكتور فاضل الجمالي، الذي نقدره ونحترمه كل الاحترام.

ونأسف لعدم استطاعتنا الحضور معكم في «قاعة الجمعية الملكية الجغرافية» بسبب ارتباطنا بموعد سابق في اسكوتلندة.

٢٧ حزيران ١٩٩٧

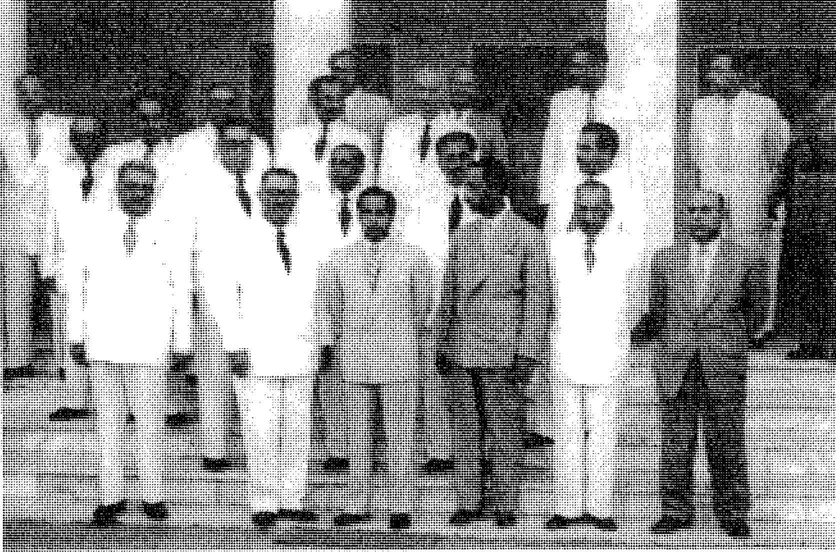
رسالة من الدكتور روجر والدكتورة مونيكا سيونر

نشكركم بالغ الشكر على دعوتنا لحضور حفل التابين الذي تيقمونه للبروفيسور الجمالي.

نعتبره شرفاً لنا ان تعرفنا عليه وتمكنّا من الترحيب به وبالسيدة (سارة) وعدد من افراد عائلته في دارنا عدة مرات آخرها منذ سنة واحدة.

لا نستطيع لسوء الحظ، ان نكون معكم في هذا اليوم، ونبعث بتعازينا الحارّة لعائلة الفقيد.

ادنبرة ـ ٢٥ حزيران ١٩٩٧



اعضاء وزارة الدكتور محمد فاضل الجمالي عند تأليفها يوم ١٧ ايلول ١٩٥٣
في البلاط الملكي ـــ بغداد



الدكتور الجمالي مع الامير فيصل بن عبد العزيزآل سعود
والسيد نوري السعيد في اجتماع الامم المتحدة ـ نيويورك ١٩٤٧

تأبين الجمالي في الصحافة العربية

خطاب الحاج محمد المختار السلامي، مفتي الجمهورية التونسية الذي لقاه عند تشييع الفقيد الى مثواه الأخيرة

يوم الاثنين ١٩ محرم الحرام ١٤١٨ - ٢٦ مايو ١٩٩٧

«جريدة الحرية» الملحق الثقافي - تونس

الله أكبر. الله أكبر. الله أكبر.

إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا. وإنا لفراقك يا فاضل لمحزونون، انه أمر حق، ووعد صدق، وسبيل ناتيه، وسيلحق بالأولين الآخرون، وإنا لله وإنا اليه راجعون.

سموت في انسانيتك، فكنت أخا للبشرية وسندا للمظلومين والمستضعفين، بما أسهمت به في صياغة ميثاق الأمم المتحدة، فدافعت بايمان لا يرهب أمام قوة البغي، عن حقوق الشعوب في تقرير مصيرها، ونجحت في ادراجه بندا من بنودها.

فلك عند كل شعب تحرر منة تذكر فتنهلّ على روحك الطاهرة الرحمات كما رحموا.

ولك على كل حكومة مستعمرة فضل بما أعنتها عليه من التخلص من الهيمنة والانحراف عن القيم الانسانية النبيلة، فرحمك الله كما رحمتهم بتجاوز عقد الاستعلاء الممزق لنسيج البشرية.

ثم وقعت بيد عربية كريمة ذلكم الميثاق الذي اختلط بفكركم ومشاعركم. فكان فهمكم له واحتجاجكم به وإدراككم لأبعاده سندا لما قررتموه من تحليل للقضايا العالمية، ودعما غليظا لما اقترحتموه من حلول تعري عيب المنافق، وتفحم المعاند وتقوي صمود المكافحين في سبيل نيل حقوقهم.

وكل قطر من أقطار المغرب العربي لك عليه فضل يا فاضل في نيل استقلاله والظفر بكرامته.

فرحمك الله بكل حرف كتبته، وقدّر ليمينك أن تأخذ كتابها باليمين.

اننا هنا في هذا البلد الذي أحبك وأحببته. نذكر دوما خطبك في الأمم المتحدة دفاعا عن القضية التونسية التي أخلصت لها. فكنا في تلكم الظروف العصيبة نتلهف الى سماع خطبك على منبر الأمم المتحدة. هذه الخطب التي عرفت كيف تصوغها في حكمة وشجاعة ووضع حجة. قوة تُثَبّت المكافحين، وتشد أزر المجاهدين للمضي في النضال. فصوتهم بلسانك مسموع في أنحاء الدنيا، تشيعه وكالات الاخبار، وتكتسب به تأييد الاحرار.

وأنت الذي أدخلت الى الجلسات العامة للامم المتحدة من زعماء السياسة التونسيين، فتحديت وعززت في آن واحد. فرحمك الله بهذه المواقف التي لا يهتدي اليها إلا أصحاب الشرف الرفيع والشجاعة الفاعلة. وإن أعمالك ومواقفك واسمك الكريم ليحتل مكانته في ذاكرة شعبنا يتجاوز أبعاد الزمن فيقترن الوفاء والتقدير، بالدعاء لك بالرحمة والرضوان.

وكنت أحد أقطاب مؤتمر باندونغ الذي خططت له مع زعماء العالم الثالث للاجهاز على الاستعمار. وتوحيد كلمة الدول النامية، وخلدت في وثائقه أنك متبوع لا تابع، تؤمن بما تقول وتقول ما تؤمن به، فجمعك الله الى الصادقين المنعمين.

وان ما خلدته بنضالك السياسي في بلدك العراق عضوا في مجلس النواب، ثم عضوا في مجلس الاعيان، ثم رئيسا للمجلس النيابي، ووزيرا للخارجية، ورئيسا للوزراء، بما صحب مسؤولياتك من استقامة يشهد بها الاصدقاء وغيرهم، فكنت شريفا مع أصدقائك كشرفك مع حاسديك. ما حمنت حقدا ولا أصابتك لوثة السلطة. فوسع الله عليك في جنته كما وَسِعَ قلبُك الكبير من أحبك ومن عاداك ومن أحسن اليك ومن أساء.

الله أكبر. الله أكبر. الله أكبر.

ان جانبك المشرق في حقل السياسة لهو يرد من نبع صفا وتدفق، من أسرة كريمة نبيلة، قام عليها والد من علماء الكاظمية الاشراف الشيخ عباس الجمالي رحمه الله. فتدرجت في رعايته يغذيك من أدب الاسلام ما ثبتك على الطموح الى معالي الامور في تواضع. فهو فرح اليوم بلقياك في عالم الخلد كما ابتهج يوم ٢٠ ابريل ١٩٠٣ بولادتك.

لا أنسى ما ذكرته لي أنك اشتركت في بواكير صباك مع رفاق الدراسة بتمثيلية للدفاع عن الخلافة الاسلامية. فكان دورك أن تكون أول شهيد في سبيل عزة الاسلام. وكم وصلت الى عتبة الاستشهاد بعد ذلك ثباتا على ما آمنت به منذ صباك. وكما كنت في دار المعلمين الابتدائية ببغداد صبيا نابها. ثم في مدرسة الامام الخالصي في الكاظمية شابا متميزا ثم طالبا متفوقا في الجامعة الامريكية ببيروت. ثم في كلية المعلمين بجامعة كولومبيا بالولايات المتحدة. فكنت بذلك من الرواد الاولين جامعا بين ثقافة تروي عروقها أصالة تستمد قوتها من تاريخ أمتك، وبين ثقافة الغرب في مناهجه وطرقه وابداعاته، حتى اذا بلغت قمة ما تخوله الدراسة من رتبة علمية، اخترت مسك الختام أن يكون موضوع شهادة الدكتوراه التعليم في الريف. فرددت العجز على الصدر بديعا. وتخرجت بشهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة كولومبيا. وأضاف أساتذتك تقديرا لنباهتك وفضلك على المعرفة، فوسمتك الجامعة بوسام الخدمة الممتازة في التعليم. فرفعك الله مقاما عليا عنده كما رفعت رأس أمتك في نجاحاتك وتفوقك.

تذكرك أجيال تلاحقت متخرجة على يديك أكثر من ثلثي قرن لفترة قصيرة في التعليم الابتدائي ثم أستاذا محاضرا في دار المعلمين العليا ببغداد. وختم شرف رسالتك التعليمية في الجامعة التونسية أستاذا محاضرا. لقد حدثتني أكثر من مرة أن رسالتك التي بذلت جهدك وخبرتك وذكاءك في تربية من أسعدهم الحظ بالاخذ عنك، هي الجمع بين النظر والتطبيق. والعلم والعمل والمعرفة والايمان. فنوّر الله عليك قبرك وروحك كما نورت العقول والبصائر.

الله أكبر. الله أكبر. الله أكبر.

تذكرك المنابر الثقافية محاضرا، في أنحاء الجمهورية التونسية، وتذكرك محاريب الجوامع، وأنت المبصر بسماحة الاسلام وعظمة هذا الدين. فملأت القلوب اعتزازا والعقول تأملا والمشاعر لينا لكلمة الله. لم تقتصر في حياتك على العمل الجامعي فبذلت ثقافتك عطاء غزيرا حيا في نشر المعرفة وهداية للحيارى وتقويما للسلوك وتثبيتا للتوحيد الذي كان يجري على لسانك وقلبك فيصطبغ به منهجك في الدعوة والتوجيه. فكنت منارة تضيء في الظلمة وتهدي في وضح النهار.

وتذكرك المؤتمرات العديدة التي أسهمت فيها اسهام المثقف الواعي.

يذكرك سكون الليل وأنت مع الانتاج الفكري العالمي ومع تأملاتك في محنة أمتك فيحرك ذلكم السكون صرير قلمك كل ليلة الى مطلع الفجر. فتنتشر على الناس مقالاتك الصحفية الجامعة بين عمق التحليل، والشجاعة المسؤولة، وحب الخير، والدعوة اليه، والتعريف بالحق الفلسطيني الذي كانت قضيته ملازمة لك احتضنتها واحتضنتك حتى أصبحتما شيئا واحدا.

كما أثريت المكتبة العربية بزهاء ثلاثين مؤلفا في التربية والايمان والفلسفة والسياسة. فملأ الله فمك من عطر الجنة ويدك من ثمارها.

يذكرك مطلع كل هلال وأنت تختم مع إهلاله تلاوة القرآن تتأمل معانيه، وتتعمق في أسرار مبانيه، فتذكر لي تارة بعض ما اكتشفته من أبعاد الحق، في الكلام الصدق.

اخترت بعد المحنة تونس بلدا تقيم به من سنة ١٩٦٢. وهو البلد الذي اعترف مجلسه النيابي الأول المجلس التأسيسي بجميل أياديك وفضل عونك وإخلاصك لقضيته فاعتبرك باجماع أعضائه مواطنا شرفيا، سنة ١٩٥٦.

فلزمناك ولزمتنا وانعقدت بيننا وبينك مودة يزكيها الاخلاص فكنت لنا في لقاءاتنا عشية كل يوم جمعة في مقام الوالد تتكلم فتفيد وتستمع سماع أهل الأدب والفضل، وتحتد تارة في الدفاع عن وجهة نظرك كما تلين في تقريرك. فنجد في حدتك ومضات حرارة الايمان، وفي هدوئك سمات العقل المتبصر. إنا نذكرك ما جرت أنفاسنا ونترحم عليك ما بقي لنا شعور.

ان سيادة رئيس الجمهورية الذي قدّر دوما مقامك في العلم والصدق والشرف، وان الشعب التونسي بجميع طبقاته، واننا إخوانك الذين كنا على صلة ود موصول لنتقدم الى أسرتك والى الشعب العراقي والى الأمة الاسلامية والى الجامعة البشرية بتعازينا المعبرة عن ادراكنا لعظم الرزية فيك أيها الفقيد العزيز. وان في الله عوضا من كل تالف وخلفا من كل هالك وعزاء من كل مصيبة. فالصبر والاحتساب ان الله مع الصابرين. وان كنت قصرت عن التذكير بفضائلك وأنت الفاضل اسما ومعنى، فعزاؤنا ما جاء في الصحيح المثبت، من كلام من أنزلت عليه الحكمة ثم فصلت. ﴿أن من أثنيتم عليه خيرا فالجنة له وجبت﴾.

أسكنك الله فراديس جنته وأنزل عليك متدارك غيث رحمته. وحقق فيك وعده في ختام (سورة الزمر) من الفضل العميم والأجر الاوفر. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤوها وفتّحت أبوابها. وقال لهم خزنتها سلام عليكم

طبتم فادخلوها خالدين. وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين».

هل مات الجمالي؟
البشير العربي
عن صحيفة «الحرية» ـ تونس

الملحق الثقافي ٢٩ مايو ١٩٩٧
ألقيت هذه القصيدة التأبينية أمام جثمان فقيد التربية والسياسة والاخلاق والفكر والقلم... الدكتور محمد فاضل الجمالي الكبير (أصيل العراق)، رحمة الله عليه.
وكان القاؤها بصحن «جامع سيدي عبد العزيز» إثر الصلاة عليه هناك، وقبيل مواراته التراب بمقبرة سيدي عبد العزيز المجاورة (قُمّرت ـ المرسى/ تونس)، وبعد تأبينه نثرا من قبل فضيلة الشيخ محمد المختار السلامي، مفتي الجمهورية التونسية.
جرى ذلك عصر يوم الثلاثاء: ٢٠ المحرم ١٤١٨ ـ ٢٧ مايو ١٩٩٧.
وفيما يلي نسخة من القصيدة بخط الشاعر، أعدها خصيصا لتهدى الى محمد فاضل الجمالي (الحفيد) أطال الله بقاءه، ومنه الى سائر أسرة الراحل العزيز.

لا تقل لي ـ يا صاح ـ مات «الجمالي»
فالجمالي لا يموت بحال!
الجمالي «فاضل».. وهل الفضل ـ وإن عز ـ مؤذن بزوال؟
ألف كلا.. فالفضل باقٍ.. وأهلوه يعاطوننا حميد الخصال!
والجمالي دين.. ولدينُ الله باقٍ كالكوكب المتلالي
مشرق بالهداية الحق للخلق جميعاً.. مرغب في الكمال
جاعلا من دعاته وأولي العلمِ به سابقين للافضال
.. ولقد كان «فاضل» واحداً منهم.. فجليّ في الفعل والاقوال
ألف الكتب.. حاضر الناس في الدعوة لله.. وهو فيها مثالي
والجمالي عالمٌ غير خافٍ
ليس يطوي ذكراه كر الليالي!
كل من كان عالماً خالد الذكر..
حميد.. وإن مضى في الاوالي
وجمالينا مربٍ حصيفٌ
كان دوماً معلمَ الاجيال
والجمالي قطب السياسة في العرب..
وأندر بمثله في الرجال!
كم له من مواقفٍ في «فلسطين»..

وقد كان رب هذا المجال
وبصلب «المنظمات» على «صهيون»
دوماً قد كان كالزلزال
وقضايا «العرب الكرام» لها ثارَ
مراراً.. وصال كالرئبال!
شهدت «تونس» لفاضل أن قد
كان عوناً لها على استقلال
إذ تبنى.. باسم «العراق» لها وفد
شكاةٍ من موبقات احتلال
يا لهاً من شجاعةٍ توجب الشكر..
وتبدي مواقف الأبطال
موقف حاز.. أيكفيه شكر؟
ليس يكفي.. لنبل هذا النضال!
وتبنته «تونس».. فأتاها
مؤثراً.. مؤثراً بدون ملالٍ
ثلث قرنٍ قضاه فيها سعيداً
ثلث عمرٍ.. والعمر في إقبال
غير أن الحياة عكرها الموت
وهذي الحياة محض خيال
إذ دعاه داعي المنون فلبّاه
وولى عنا الى ذي الجلال
ولئن مات فهو بالروح باقٍ
وبآثاره.. وخير الفعال
أكرم الله نزله يوم دينٍ
فهو أهل التكريم والإجلال
وشآبيب رحمةٍ فوق رمسٍ
ضمّه.. بالغدوِ والآصال

المناضل العراقي العربي فاضل الجمالي في ذمة الله
بقلم الاستاذ عبد الكريم غلاّب
عضو اكاديمية المملكة المغربية
«العلم» المغربية – لسان حزب الاستقلال – الرباط ٢٨ / ٥ / ١٩٩٨

علمنا من تونس ان المناضل العربي الكبير الاستاذ الدكتور محمد فاضل الجمالي قد انتقل الى رحمة الله يوم الجمعة الماضي.

والفقيد الكبير من الرعيل الاول للنضال في سبيل القضية العربية. وقد عايشها بالعمل والنضال منذ وعى في الحرب العالمية الاولى (من مواليد ١٩٠٣) واخذ يكافح من اجل قضية استقلال العراق بعد ان عاد من دراساته العالية في الولايات المتحدة الامريكية، وكانت فترة ما بين الحربين فترة نضال لاستقلال البلاد العربية التي احتلتها انجلترا وفرنسا بعد هزيمة تركيا في الحرب الاولى، فاعتبرتها من تركة الدولة المنهزمة. ولكن المناضلين العرب قاوموا الاستعماريين في سوريا والعراق وفلسطين ولبنان على غرار ما قاوم المناضلون المصريون لاستقلال مصر والسودان.

وقد انخرط الدكتور فاضل الجمالي في سلك التعليم، وكان خبيرا كبيرا في شؤون التربية، واشرف على وضع استراتيجية التعليم في العراق، وواصل نضاله الوطني وعمله الوظيفي حتى كانت الحرب العالمية الثانية فكان في مقدمة الخبراء العراقيين في القضايا العربية والدولية. واختاره العراق ليكون عضواً بارزاً في الوفد العراقي في اجتماع سان فرانسيسكو لانشاء الامم المتحدة.

وكان في الاجتماع التأسيسي خير مدافع عن مركز الشعوب المستضعفة وخاصة الشعوب العربية.

وقد مثل بلاده في كل اجتماعات الامم المتحدة في نيويورك وباريس بين سنتي ١٩٤٥ و١٩٥٧ وفي هذه المرحلة كان له مركز متميز في العراق فاصبح وزيرا شغل بجدارة منصب وزير الخارجية ثم رئاسة الحكومة وكان على خلاف شديد مع نوري السعيد فيما يخص التضامن العربي كما امتازت قيادته للدبلوماسية العراقية بكفاحه الصريح لصالح كل القضايا العربية، وخاصة قضايا المغرب العربي تونس والجزائر والمغرب.

وقد تبنى قضية المغرب كما لم يتبنَ أية قضية اخرى سواء في نضاله داخل الجامعة العربية مع عبد الرحمن عزام او في الامم المتحدة، وقد عمل مع الوفد المغربي الذي كان يرأسه المغفور له احمد بلافريج الامين العام لحزب الاستقلال آنذاك، فاصبح كما لو كان عضوا في الوفد المغربي. واتاح للوفد فرصا للعمل حتى ان وفد حزب الاستقلال كان يجلس في الجمعية العمومية للامم المتحدة بصفته عضوا في الوفد العراقي، وبذلك كان يرفع صوت المغرب مندداً بالاستعمار ومطالبا بالاستقلال.

وقد تزعم رحمه الله الدفاع عن القضية المغربية في اجتماع الجميعة العمومية في باريس

سنة ١٩٥١. وكانت خطبه وتصريحاته محرجة للوفد الفرنسي، حتى ان وزير خارجية فرنسا روبير شومان كان يرجو الوفود العربية الا تحرج فرنسا بتسجيل القضية المغربية في الجمعة العمومية في الوقت الذي تستضيف فرنسا الامم المتحدة ويعد بأن يغير من سياسة الحكومة الفرنسية والاقامة العامة. وما تزال خطبه المدافعة عن القضية المغربية ملء السمع والفكر، وقد نشرتها مجلة «رسالة المغرب» في عدد خاص عن قضية المغرب في الامم المتحدة.

وحينما استقل المغرب كان اول من وفد الى المغرب على رأس وفد عراقي وقد رحل الوفد وبقي هو في المغرب في ضيافة جلالة المغفور له محمد الخامس وسمو الامير الحسن ولي العهد آنذاك مدة زار فيها مناطق المغرب الذي أحبه ودافع عنه،اعترافا بجهوده في سبل القضية المغربية.

كان ممن اعتقله نظام عبد الكريم قاسم بعد الثورة العراقية سنة ١٩٥٨ وحكم عليه بالاعدام، لولا ان محمد الخامس تدخل لدى حاكم العراق فعفى عنه، وقد خرج من العراق، وكان ينوي الاقامة في المغرب لولا انه مر على تونس لزيارتها فتمسك به الرئيس بورقيبة، وطلب منه ان يعيش في تونس كاستاذ لفلسفة التربية في الجامعة التونسية.

وبقي رحمه الله يذكر للمغرب ولمحمد الخامس فضله، ويدين بحياته له.

قضى في تونس ازيد من خمس وثلاثين سنة لم يعد فيها الى العراق، ولم يزر إلاّ المغرب عدة مرات كان آخرها حينما شارك في حفل تابين المغفور له احمد بلافريج الذي كان يعتز بصداقته ويقدر نضاله، كما كان بلافريج يقدر جهوده في سبيل المغرب واستقلاله. وكان من اعز اصدقائه علال الفاسي. كان كل منهما يعرف شخصية الآخر ويقدر نضاله الوطني والعربي والاسلامي.

في تونس رصد كل جهوده للدراسة الجامعية والكتابة فكتب عددا كبيرا من الكتب عن القضايا العربية وخاصة قضية فلسطين والنضال العربي للتحرر، كما خصص كثيرا من كتبه لقضايا التربية والتعليم في الوطن العربي وللتوجه الفكري العربي، ولتنمية الوعي بالعروبة.

وكان يخص «العلم» بكثير من مقالاته عن القضايا العربية، والسياسة الدولية ازاء العرب وفلسطين.

وعاش عيشة بسيطة وفقيرة، معظم سنواته قضاها في منزل صغير على الشاطئ التونسي يكتب ويؤلف ويتردد على الجامعة وحيدا مع زوجته بعد ان كبر ابناؤه ورحل كل منهم الى بلاد يعمل فيها.

كان فاضل الجمالي موسوعة علمية وسياسية يعرف ويتذكر معظم القضايا التي شارك فيها، ويحلل اسرار السياسة الامريكية والانجليزية بالاخص ازاء العرب والمسلمين، وكان مسلما عميق التشبث بقضايا المسلمين وبمركزهم الدولي.

كتب له ان يعيش ٣٩ سنة بعد ان فك عن عنقه حبل المشنقة قضاها في العمل العلمي وفي التوعية بالقضايا العربية والاسلامية وكتبه زاد للمعرفة والتوجيه العلمي والسياسي والعربي.

رحمه الله فقد كان من اكبر اصدقاء المغرب الذين لم يلقوا من المغرب الجزاء الذي يستحقه. ولكنه كان سعيدا بحب اصدقائه المغاربة بعد ان نسيه اصدقاؤه في العراق.

وفاة فاضل الجمالي احد مؤسسي الأمم المتحدة
غسان العطية
«الحياة» ـ لندن ـ الاثنين ـ ٢٦ / ٥ / ٩٧

غيّب الموت رئيس الوزراء العراقي السابق الدكتور محمد فاضل الجمالي في المستشفى العسكري في تونس أول من أمس وذلك عن ٩٤ سنة، وكان من مؤسسي الامم المتحدة.

وسيرة الدكتور محمد فاضل الجمالي تختصر تاريخ العراق الحديث، من ولادته في الكاظمية عام ١٩٠٣ من أسرة دينية، وتعلمه في مدرسة الامام الخالصي ودار المعلمين في بغداد وبعدها في الجامعة الامريكية في بيروت، حتى حصوله على الدكتوراه من جامعة كولومبيا بنيويورك سنة ١٩٣٢، ليعود مربياً ثم ديبلوماسياً وسياسياً ورئيسا للوزراء لنتيهي في ما بعد لاجئا في وطنه الثاني تونس.

شهد الجمالي ولادة العراق، وكان احد ثمرات العهد الفيصلي الذي وضع أساس البناء الثقافي والتعليمي الحديث في العراق، فكان الجمالي ضمن أول دفعة ترسلها الحكومة العراقية للدراسة في الجامعة الامريكية في بيروت، ثم في الولايات المتحدة.

وبعد ان تحصن بثقافة اسلامية انفتح على الفكر القومي العربي المتمثل بالثورة العربية ضد الدولة العثمانية الذي تعرف عليه من خلال المعلمين العرب الذين استدعاهم العهد الفيصلي للمساهمة في النهضة التعلمية في العراق، اضافة الى دور الجامعة الامريكية في بيروت كحاضنة للفكر القومي العربي آنذاك.

ان حياة الجمالي كالعراق الحديث، جملة مفارقات، فتلميذ الامام الخالصي يصبح رائداً للفكر الليبرالي الاصلاحي، وابن الكاظمية يشارك في توقيع ميثاق الامم المتحدة في مؤتمر سان فرانسيسكو سنة ١٩٤٥، ليصبح صوتاً عراقياً مدافعاً عن الحق العربي بالاستقلال والحرية، وعن الحق الفلسطيني، ومشاركاً في الجهود لتحقيق استقلال ليبيا ثم تونس والمغرب والجزائر.

ومن المفارقات ان تكون شفاعة محمد الخامس ملك المغرب لدى عبد الكريم قاسم هي التي انقذت رأسه من حكم الاعدام وخمس وخمسين سنة سجناً اصدرته محكمة «المهداوي» عام ١٩٥٨.

ومن المفارقات ان تكون مساعيه لوحدة سورية والعراق احدى تهم الادعاء العام «الجمهوري» ضده.

كان الجمالي واضحاً في فكره السياسي «انا عراقي، انا عربي، انا مسلم»، العبارات التي لخص الدكتور الجمالي بها هويته الفكرية والسياسية التي لا يزال صداها في ذاكرتي من آخر حديث لي معه في لندن صيف ١٩٩٦.

كان الجمالي مدركاً ان العراق الحديث، الذي هو ثمرة وحدة ولايات البصرة وبغداد والموصل العثمانية سابقاً، بحاجة الى دعم دولي للوقوف على قدميه من ناحية وحماية كيانه من جيران طالما كانت أرض العراق ميداناً لحروبهم وغزواتهم. ويقول بوضوح انه لولا التحالف مع بريطانيا لما تمتع العراق بحال من الاستقرار دامت حوالي أربعة عقود تم فيها رسم حدود البلاد مع معظم جيرانه، ما كان له الفضل في تفرغ العراق للبناء حتى أصبح على رأس دول العالم الثالث المرشحة للانتماء للعالم الاول.

وعند اشتداد الحرب الباردة كان خياره واضحاً وصريحاً بالانحياز الى الغرب. وفي هذا كان صريحاً في اجتماعات باندونغ ومحادثاته مع جمال عبد الناصر. ورغم اختلافه مع عبد الناصر إلا انه كان ضد التورط في صراع بين البلدين، ووقف علناً في الجمعية العامة للأمم المتحدة يدين العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦، ويبدو ان هذه الوقفة كانت وراء برقية جمال عبد الناصر لعبد الكريم قاسم قائد ثورة تموز (يوليو) ١٩٥٨ يرجو فيها عدم تنفيذ حكم الاعدام بالجمالي.

ولكن طالما ظلم الجمالي من جيل الاربعينات والخمسينات، وكاتب هذه السطور احدهم، عندما اعتبرنا اجتهاده خيانة واختلافه جريمة، فكتب الدكتور الجمالي أخيراً في هذا الشأن يقول: «علاقتي بالولايات المتحدة هي علاقة ثقافة وصداقة عمرها ٧٣ سنة، وعلاقتي بالسياسة الخارجية الامريكية علاقة الصديق مع الصديق، اقترح وأنتقد ولا أسكت إذا أعتدي على امتي خاصة والانسانية عامة، وربما كنت العربي النادر الذي يخاطب الامريكان مخاطبة الند للند وليس مخاطبة الضعيف للقوي. شعاري معهم، صديقك من صدقك. لم أسكت على الظلم الذي الحقوه بالشعب الفلسطيني في انحيازهم المفرط لاسرائيل. كما لم اسكت على المظالم التي اوقعوها على الشعب العراقي وأنا انتقدهم دفاعاً عن حقي وحفظاً لسمعتهم وكرامتهم ومصالحهم في الشوط البعيد، فالولايات المتحدة دولة عظمى ليس بقوتها العسكرية وثروتها فحسب بل بمبادئها السامية التي ترتفع بالانسانية».

واذا كان الجمالي في خريف عمره يعاني من الخيبة من السياسة الخارجية الامريكية، فان خيبته من الاطروحات والممارسات القومية العربية لم تكن اقل... فقد كتب في سنوات الغربة اخيراً يقول: «انه مما يؤلم القومي العربي أشد الالم ان يرى انه مضطر الى ان يتوقف ثماني مرات في سفرة بين عمان وبيروت في العهد الوطني بعد ان كان يمر بسهولة في أيام الاحتلال الاجنبي».

ان البعد الآخر لثقافة الجمالي، بعد اسلامية مدارس الخالصي وقومية الجامعة الامريكية في بيروت، هو نزعته التربوية التي تلقنها على يد ابرز التربويين، جون ديوي في جامعة كولومبيا، فمارس التعليم في البداية قبل الانتقال لعالم السياسة الامر الذي ترك بصماته على مواقفه وتصريحاته، فطالما اختلط المربي بالسياسي، فكتب يقول تحت عنوان «دور التربية والتعليم» في تجديد بناء الامة ان «العروبة اخلاق قبل كل شيء، ولكن كيف حال اخلاق العرب اليوم؟ لننظر اليها، الا نشاهد ضعفاً في الامانة وزيادة في الخيانة... هل لدينا مناعة ضد التجسس

وخدمة النفوذ الاجنبي اما ان هناك من يبيع الوطن بدريهمات معدودات؟».
وطالما كرس جهده في تشخيص امراض المجتمع العربي، فكان داعية للتسامح الديني والرافض للطائفية حيث قال: «وليس ادل على ان الطائفية ليست من الدين» من قوله تعالى في القرآن الكريم: «ان الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء»، و«من المؤسف ان بعض البلاد العبرية مني بحياة سياسية مؤسسة على أسس طائفية فيجب ان ينشأ الجيل الجديد تنشئة تقوم على القضاء على هذه الاحوال وان يعرف جيداً بان الفرص المتساوية والاخوة القومية والشعور الانساني العام هي جوهر الدين وليست الطائفية من الدين في شيء».
اما على الصعيد العراقي فقد لخص الجمالي رؤيته في كتاب نشر في بيروت عام ١٩٦٩ تحت عنوان «رسالة مفتوحة الى الشعب العراقي الكريم» تبقى الى اليوم مرجعاً علمياً في تشخيص علل العراق وسبل خلاصه انطلاقاً من ضرور الوحدة الوطنية القائمة على الانتماء والولاء للعراق أولاً.
سألت الجمالي مرة، لماذا لم تفكر في انشاء حزب سياسي عراقي ابان العهد الملكي، فكان جوابه صريحاً الى حد المرارة: لو كان هناك عشرة اشخاص مستعدين للتعاون المتكافئ لشكلت الحزب.
ان فكر الجمالي هو مزيج من محمد عبده في دعوته للتسامح والاصلاح الديني، وقسطنطين زريق في الدعوة للاحياءالقومي عبر التربية والتحديث.
لم يزر الجمال العراق منذ غادره عام ١٩٦١ بعد قضاء ثلاث سنوات في السجن ليستقر ضيفاً على تونس التي اولته كل الرعاية واصبح احد الاعلام الثقافية هناك ويسمى احد شوارع العاصمة باسمه.
وهكذا وجد العرفان من هذا البلد الكريم في وقت بخل عليه العراق والعراقيون بما هو حق له.

فاضل الجمالي والموقف الوطني

عبد الغني الدلي

«القدس» - الثلاثاء - ٢٧ / ٥ / ١٩٩٧

نعت أنباء (تونس) يوم السبت ٢٤/٥/١٩٩٧ الموافق ١٨ محرم الحرام ١٤١٨ وفاة الأخ الكبير والصديق الكريم المرحوم الدكتور محمد فاضل الجمالي رئيس وزراء العراق الاسبق في العهد الملكي وهو في عمر ناهز التسعين عاما، بعد ساعات من اجراء عملية جراحية له.
لقد ساهم الدكتور الجمالي مساهمة فعالة في بناء الدولة العراقية مقتفيا آثار الملك فيصل الأول ومتأثرا بسياسته الحكيمة، وذلك اولا في ميدان التربية والتعليم مجال اختصاصه واهتمامه ثم في المناصب الادارية والسياسية التي شغلها حتى عام ١٩٥٨ وخاصة وزارة الخارجية، حيث كان له الفضل الاول في تطوير سياسة العراق الدولية وتوجيهها بقوة نحو

خدمة اهداف الامة العربية والاسلامية وفي مقدمتها القضية الفلسطينية.
وكانت له مواقف جريئة وخطب بليغة مدوية، باللغة الانكليزية التي كان يتقنها، في قاعات هيئة الامم المتحدة،التي كان احد الموقعين على ميثاق تأسيسها، دفاعا عن حقوق الشعوب العربية في الحرية والاستقلال خصوصا دول الشمال الافريقي، كما كان يقف دائما ضد مخططات الاستعمار ويناضل الى جانب الشعوب المضطهدة في مختلف انحاء العالم، ولذا فقد حظي بتقدير زعماء العالم الثالث واحترامهم.
ولما تولى رئاسة الوزارة في العراق في عهد الملك فيصل الثاني، سعى لفتح صفحة جديدة في الحياة الديمقراطية وفي الاصلاح الاقتصادي والاجتماعي، ولا يتسع المجال هنا لبحث تلك الجهود. لقد عرف (الجمالي) بين اقرانه وزملائه بالكفاءة والجد والنزاهة والصدق والدفاع عن مبادئه مهما كلفه الامر.
وقد شاءت الظروف القاسية التي مر بها العراق بعد ١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٨ ان يعتقل وان يحاكم (الجمالي) لتمسكه بالآراء والمبادئ التي آمن بها ودافع عنها وان يحكم عليه بالاعدام والغرامات الفادحة وان يحجز بيته ومكتبته، ثم يفرج عنه بعد توسط عدد من الملوك ورؤساء الدول وشخصيات عالمية في طليعتها الملك محمد الخامس ملك المغرب وداغ همرشولد سكرتير عام هيئة الام آنذاك وغيرها. ويغادر العراق الذي احبه وخدمه بكل اخلاص.
واختار (الجمالي) الانتقال الى وطن عربي آخر هو (تونس) التي رحبت به واكرمته ومنحته صفة (مواطن شرف) واطلقت اسمه على احد شوارعها الرئيسية، ثم افسحت له مجال العمل في (الجامعة التونسية) حيث قضى نحو ثلاثين عاما يدرس ويحاضر ويؤلف في مواضيع التربية وعلم النفس والاتجاهات التربوية في الاسلام. والى جانب ذلك كان يتابع الشؤون العربية والدولية ويدبج المقالات حولها لتنشر في امهات الصحف العربية في تونس ولندن وقد ظل مثابرا على هذا العمل ـ كما يعلم قراء الصحف العربية ـ حتى آخر ايام حياته.
لقد كان الجمالي رحمه الله، مؤمنا بالاسلام دينا يؤدي فرائضه بحرص ودقة من صلاة وصيام وحج.. ويدافع عنه بكل ما يملك من حجة وبيان. وبقي طوال حياته متواضعا متسامحا في تعامله مع الناس حتى اشدهم خصومة له. وعاش حياة تقشف وكفاف مترفعا عن كل ما يمس كرامته او مبادئه.. مستقبلا خبر الحياة وشرها بابتسام وامل وتفاؤل.
لقد اختار الجمالي حسب وصيته ان يدفن في تونس التي احبها واهلها وقدم لابنائها كل ما يملك من خبرةٍ وعلم. ولم تقصر تونس في تقديرها ووفائها لهذا الرجل الفذ فقد أوفد رئيس الجمهورية التونسية (زين العابدين بن علي) رئيس تشريفات قصره ليعزي عائلة الفقيد ويتكفل بقيام السلطات التونسية بكل ما يلزم من مراسيم التشييع والدفن.. وتقاطر عشرات التونسيين للتعزية والمؤاساة.
لقد مات الجمالي غريبا بعيدا عن وطنه الاول (العراق) وعن ميدان جهاده المبكر (بغداد). ولكن ابناءالعراق في كل مكان سيفتقدونه وسيبكونه ولن ينسوا انه خدم العراق داخل الوطن وخارجه واعلى من شأنه وناضل من اجله رغم الجحود والنكران. ولسان حاله،

كما كان يكرر القول:

بلادي وان جارت عليّ عزيزة

وأهلي وان شحوا عليّ كرام

رحم الله (فاضلا) واسكنه فسيح جناته وعزاء لقرينته الثكلى وابنائه المفجوعين وجميع اصدقائه ومحبيه في كل مكان. وإنا لله وإنا اليه راجعون

الامة خسرت مفكرا ومربيا و«القدس العربي» خسرت كاتبا ومحبا

محمد فاضل الجمالي... الموقف الصعب في الزمن العراقي الأصعب

عبد الباري عطوان ٢٦/٥/١٩٩٧

«القدس العربي» ـ لندن

كنا نستعد في صحيفة «القدس العربي» لاستقبال الدكتور محمد فاضل الجمالي، الذي تعود ان يزورنا كل صيف اثناء توقفه في لندن، قادما من زيورخ، وفي طريقه الى اسكتلندا لزيارة احد ابنائه الذي يقيم مريضا في احد مستشفياتها، ولكن خبر وفاته الذي بثته وكالات الانباء امس الاول، بعد نزلة برد خفيفة، القى بظلال الحزن علينا، فقد فقدنا فيه ابا حنونا، وكاتبا وطنيا متميزا.

وعلاقة هذه الصحيفة بالدكتور الجمالي حديثة العهد، وبدأت على وجه التحديد مع ازمة الاجتياح العراقي للكويت، عندما وقف وقفته الوطنية الشجاعة، وعارض العدوان الامريكي على بلاده بصلابة، في الوقت الذي كان الكثير من العراقيين يرقصون طربا مع كل صاروخ امريكي او عربي يضرب الآمنين العزل في بغداد وباقي المدن العراقية الاخرى.

فقد كان الرجل يكتب مقالاته ويرسلها الى الصحيفة، ودون اي معرفة مسبقة، مع رسالة بسيطة تتضمن بعض كلمات الاعجاب بخطها السياسي، والتحسر على وضع هذه الامة.

وعندما جاء الرجل الى مقرالصحيفة زائرا، كان اللقاء حميما علاوة على كونه مفاجئا، ومصدر المفاجأة عندما اخبرنا انه احتفل ببلوغه التسعين وحمل الينا مجموعة من الكتب فرغ لتوه من تأليفها والدفع بها الى المطبعة.

وفي احدى المرات، عرضت عليه، وفي استحياء شديد مبلغا بسيطا، كمقابل لمقالاته التي نشرها في الصحيفة، وكان مؤدبا في الاعتذار عن عدم قبولها، والاشادة في الوقت نفسه بالموقف السياسي الذي اتخذناه.

ولا بد من الاعتراف بان موقف الدكتور الجمالي الواضح والقوي المعادي للولايات المتحدة وعدوانها على العراق كان نقطة تحول جذرية في السياسة العراقية، من حيث مضمونه ومن حيث توقيته، فقد خيب آمال الكثيرين خاصة في صفوف بعض اوساط المعارضة العراقية التي راهنت على الولايات المتحدة كاداة للتغيير المنتظر في العراق. فالرجل محسوب على الملكية، والتوجهات الغربية ومحكوم عليه بالاعدام من قبل الثوريين في العراق، وكان متوقعا منه ان يقف

في الخندق الامريكي البريطاني الخليجي، ولكنه لم يفعل، وكان فارسا اصيلا في موقفه هذا الذي ظل وفيا له حتى اللحظة الاخيرة من حياته.

في ١٢ حزيران (يونيو) ١٩٩١ كتب الدكتور الجمالي في «القدس العربي» يقول: «سمعنا عن طريق الاذاعة الامريكية نبأ تنظيم استعراضات عسكرية تقوم بها القوات المسلحة الامريكية العائدة من حرب الخليج في كل من واشنطن ونيويورك ابتهاجا بانتصار الحلفاء على العراق.. هل كان احد بشك في ان قوة الولايات التحدة في وسعها ان تسحق جيش بلد صغير كالعراق وان تدمر العراق كله. اننا نتساءل هل في ذلك فخر للولايات المتحدة وهل هو دليل عظمتها؟».

ويواصل في المقال نفسه قائلا «الاكثرية الساحقة من العقلاء ومحبي السلام في العالم مقتنعون بان ما قامت به الولايات المتحدة من تدمير للعراق وحرمان لشعبه يسجل لطخة سوداء في تاريخ المدنية الغربية.. هل في ذلك فخر للولايات المتحدة؟».

ويقول «بوصفي صديقا قديما للشعب الامريكي ومدينا في حياتي للثقافة التي استقيها من المعين الامريكي اخجل والله حين اقرأ واسمع بان الولايات المتحدة تقيم استعراضات عسكرية لانتصارها على العراق (..) فهل تعلم بان كل ظلم وحرمان يسلط على الشعب العراقي بحرمانه الطعام والماء والدواء، وكل تفريق بين سكانه على اساس الدين والمذهب او العنصر هو جريمة بحق الانسانية؟ لماذا كل هذا الافتخار بعدوانكم على العراق؟ لماذا هذه القسوة والوحشية على العراق وشعبه؟ اخدعتم العالم باسم الشرعية الدولية؟ ولكن مفهومكم للشرعية الدولية برزت حقيقته في موقفكم من الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية في فلسطين وجنوب لبنان والجولان السورية».

ويصل الى خاتمة المقال بقوله مخاطبا الامريكيين «ان تدميركم العراق وقوة العراق كان من اجل اسرائيل وليس من اجل الكويت هذه هي الحقيقة، انكم تعملون لكي تصبح اسرائيل الدولة المهيمنة على البلاد العربية توجه سياساتها وتستغل خيراتها، وكلكم مخطئون. السلام لا يتحقق الا بالعدل واحقاق الحق، وهذا يتطلب استرجاع الفلسطينيين لحقوقهم المشروعة في وطنهم اولا».

ومن المفارقة ان الدكتور الجمالي، صديق امريكا، وخريج جامعاتها يكتب هذه الكلمات ويتخذ هذا الموقف الوطني المشرف في الوقت الذي كان بعض العراقيين يهرولون الى واشنطن وحلفائها في المنطقة، ويحثونهم جميعا على الزحف بدباباتهم نحو بغداد، وتشديد الحصار على الشعب العراقي، وقتل المزيد من اطفاله، تحت مسميات الديمقراطية والعدالة وحقوق الانسان.

كان الدكتور الجمالي محبا لفلسطين، مثلما هو محب للعراق، وكا يفتخر بكتاباته المبكرة المعادية للمخططات الصهيونية التي البت عليه اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة الامريكية منذ الاربعينات، وقد اعاد نشر هذه المقالات اكثر من مرة، وجمعها في كتاب كان الاول من نوعه في المنطقة العربية.

وعندما وجه اليه الرئيس الامريكي بيل كلينتون الدعوة لحضور احتفالات مرور خمسين عاما على تأسيس الامم المتحدة في سان فرانسيسكو باعتباره احد ابرز الموقعين على ميثاقها، رد عليه برسالة مطولة رافضا الدعوة، ومبررا هذا الرفض بالموقف الامريكي الذي استخدم المنظمة الدولية كاداة لقمع الشعوب العربية، وقتل اطفال العراق، وفرض الحصار عليهم.

في عام ١٩٩٤ زرته في دارته المتواضعة في حي المرسى التونسي، وكانت فرحته غامرة، وقضينا معظم الوقت في مكتبته الطافحة بالكتب والدوريات وكم كانت مفاجاتي عظيمة عندما كان متوقد الذاكرة، يتنقل مثل النحلة بين ارففها المزدحمة بالكتب، ويتناول الكتاب موضع الحديث، ويتذكر الصفحة التي توجد فيها المعلومة التي يريدها، وكانه ابن العشرين.

الاحاديث مع الدكتور الجمالي كانت دائما ممتعة لما تنطوي عليه من ذكريات مشوقة، ومعلومات عن وقائع واحداث على درجة كبيرة من الاهمية لانها كانت شهادات حية لمرحلة خصبة من تاريخ العراق والمنطقة العربية باسرها.

ويسجل للدكتور الجمالي سعة صدره، وتسامحه ورقيه في الحديث عن الزعماء القدامى والجدد، فلم يصب ايا منهم بسوء، ولم يحاول مطلقا ان يشوه تاريخ احد، ومدح نفسه وسياسياته، وكان يكتفي بسرد الوقائع بتواضع الواثق. وكان لافتا وجود مرارة في نفسه بسبب خلافه مع الثورة الناصرية، وقال ان الرئيس جمال عبد الناصر تفهم سياساته في البداية وكان ودودا معه، ولا يفهم الاسباب الحقيقية التي جعلته يتغير.

الدكتورالجمالي كان فخورا بسيرته التربوية ويؤكد دائما انه معلم قبل ان يكون سياسيا ويعدد تلاميذه الذين تخرجوا على يديه بفخر واعتزاز. وكان آخر كتاب احضره الى لندن يحمل عنوان «خبرات وآراء في الدراسة الجامعية» يتحدث فيه عن عصارة خبرته في التعليم الجامعي، وكيفية اصلاح الجامعات العربية لما لحق بها من ادران اثرت على مستواها العلمي، مما انعكس بصورة سلبية على خريجيها.

وظل يروي دائما ايامه الصعبة التي تلت خروجه منفيا من بغدا بعد صدور عفو عنه انقذه من حبل المشنقة اثر تدخلات عربية ودولية عدة ابرزها من قبل الملك محمد الخامس.

ويتوقف بالذات عند العرض الكريم الذي جاءه من الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة بمنحه معاشا شهريا دائما، واعتذاره عن عدم قبول العرض، واستعداده للعودة الى الجامعة للتدريس وافادة الطلاب التونسيين من علمه وخبراته، فكان له ما اراد.

وقد يختلف العديد من القوميين او اليساريين مع الدكتور الجمالي وطروحاته السياسية، ولكنهم قطعا لا يجادلون في حبه للعراق والامة العربية، فالرجل ظل دائما يردد مقولته بانه عراقي اولا، وعربي ثانيا ومسلم ثالثا. العراقي الذي يؤمن بوحدة بلاده، والعربي الذي يدافع بشراسة عن قضايا امته والمسلم الليبرالي البعيد عن التعصب والتقسيمات الطائفية المتخلفة.

في آخر مرة التقيت به في لندن في صيف العام الماضي، كان محاطا بمجموعة من تلاميذه،

وكلهم وزير او سفير او طبيب سابق ولا ابالغ اذا قلت انه كان الاكثر شبابا بينهم يتحدث بطلاقة ويحلل الاحداث، وينتقد الولايات المتحدة وحصارها للعراق بمرارة ويؤكد اكثر من مرة بانه لن يسكت مطلقا عن الظلم الذي الحقوه بالشعب الفلسطيني في انحيازهم المفرط للاسرائيليين.

فاضل الجمالي

عرفان نظام الدين

«الحياة» ـ لندن ٢٧ / ٥ / ١٩٩٧

علق حبل المشنقة على رقبته ونطق بالشهادتين وسلم أمره لله عز وجل، ورفع يديه للسماء طالباً الرحمة والعدل، شاكياً الظلم والظالمين داعياً ان يخلص الله العراق من التسلط والتشرذم وينقذه من المؤامرات والفتن والطابور الخامس الذي لبس لبوس الثورة وتخفى وراء قناع الوطنية والعروبة والثورية بينما هو، كما اثبتت الاحداث والتجارب المريرة أكبر مخرب... فبعد ارتكابه مجزرة قصر الرحاب عمّم المذابح من الشمال الى الجنوب وأثار الفتنة تلو الفتنة حتى أوصل العراق الى ما وصل اليه الآن من دمار وخراب وتفتيت.

واستجاب الله لدعاء الرجل الفاضل والانسان المؤمن والوطني المخلص والعروبي الصادق بانقاذه في آخر لحظة من حبل المشنقة بعد ان توسط له زعماء عرب فصدر عنه عفو لم يدر أحد بعد كيف اقتنع به ديكتاتور العراق آنذاك. ولكن الشق الثاني من الدعاء بقي معلقاً، فقد نجا الرجل لكن العراق سقط في بحر من الدماء والفتن والحروب والنكبات.

وتلك والله غصة في حلوقنا جميعاً كعرب ومسلمين لأن العراق يعني لنا الكثير ونخاف عليه وعلى أهله كما نخاف على انفسنا وندعو الله ليل نهار ان يعينه ويساعده وينقذه من محنته الدامية.

وهذا كان دعاء الرجل الذي نجا من حبل المشنقة في كل مرة كنت ألقاه من بيروت الى لندن فتونس. انه فاضل الجمالي السياسي الفذ ورجل الوطنية الحقة والعروبة الحقيقية، والمربي والاديب والمؤرخ. عرفته أول مرة في بيروت العام ١٩٦٥ عندما كان يتردد على شهيد الحرية والصحافة كامل مروة في جريدة «الحياة»، وكان يعرج عليّ ليحدثني عن ذكرياته وآلامه ويحذرني من اليأس ويقول لي: لقد رأيت الموت في عيني وشهدت رفاق دربي المجاهدين يسحلون ويعدمون بلا محاكمة ولا قانون، ورأيت بأم عيني المخازي وسمعت التهم توجه جزافاً لتشويه سمعة رجال الوطنية الذين حققوا الاستقلال وكرسوا مداميكه واقاموا حكماً ديمقراطياً نيابياً لا مثيل له ولا فرق فيه بين عربي وكردي وبين سني وشيعي وآشوري وكلداني او سرياني، فالكل إخوة يعاملون سواسية كأسنان المشط في ظل القانون وحماية الدستور. وكان العراق مرشحاً ليكون قوة كبرى تدعم قضية الوحدة العربية التي آمن بها رجالها وقضوا بسببها، وتدافع عن قضايا العرب والتحرير وأولاها قضية فلسطين، ولكن المتآمرين اجهضوا هذه التجربة مثلها مثل التجارب العربية المماثلة ليؤمنوا

لأنفسهم السيطرة والهيمنة ونهب الثروات، بعد ان يقوم البعض منا بكل أسف بقلب الانظمة واثارة الفتن والحروب واشاعة اجواء الكراهية والحقد والتشكيك بكل انسان مخلص ووفي.

وعلى رغم هول المآسي فان فاضل الجمالي لم ييأس وبقي ناسكاً معتكفاً في مكتبته المتواضعة والغنية بمحتوياتها في منزه بتونس، ولا أقول منفى، لأن تونس استضافته وأمنت له الرعاية والملجأ باشراف مباشر من الرئيس السابق الحبيب بورقيبة وتواصلت في عهد الرئيس زين العابدين بن علي الذي كرمه ورعاه وحافظ على عهده.

ودرّس فاضل الجمالي في جامعة تونس واصدر عشرات الكتب والمذكرات، من بينها «ذكريات وعبر» الذي اسهمت في اصداره ونشره في بيروت وطبع منه اكثر من خمس طبعات ووزع اكثر من ستين ألف نسخة. كما عكف على معالجة قضية محورية كان يرى انها سبب التخلف وأساس التقدم وهي التربية الصحيحة والتعليم السليم فأصدر كتباً عدة بينها «تربية الانسان الجديد». ومات فاضل الجمالي بعيداً عن عراقه الحبيب وعن نسمات فراته ونفحات شعبه وحسرة في قلبه وقلب كل عراقي وعربي.

وسؤال: الى متى الظلم والنفي والتشرد، ومتى يجيء الحق ويزهق الباطل؟ وألف رحمة عليك يا فاضل الجمالي.

– لقطة

هل صحيح ما قاله الشاعر:

حلاوة الدنيا لمن جهلا

ومرارة الدنيا لمن عقلا!

السياسي الوحيد الذي غادر العراق دون أن يقطع تذكرة العودة اليه

الجمالي مات بعد ٣٩ سنة من إعدامه

سعد البزاز

«الشرق الاوسط» ـ لندن ٢٥/٦/١٩٩٧

ما زلت اذكر العبارة التي كانت زوجة الجمالي ترددها في كل مرة ازور فيها منزله في تونس: ما زال هذا الشقي شابا.. اتعبني ولم يتعب.

ويضحك محمد فاضل الجمالي. اذ ليس هناك اجمل من هذه الكلمات عنده. فهو ما يزال في التسعين شابا في عيني زوجته التي رافقت حياته ستين عاما ويزيد.

وكثيرا ما كان ينهض من مكانه ويصطحبني الى غرفة مجاورة تضم رفوفا وخزائن تحتوي آلاف الكتب، ومخطوطات وخرائط وملفات وصور فوتوغرافية.. فقد بدأ يعيد مكتبته منذ اول يوم وطأ فيه تونس ١٩٦١ عندما جاءها من جنيف بدعوة من الحبيب بورقيبة فمكث فيها يدرس التربية في الجامعة التونسية وصار له شارع في العاصمة التونسية يحمل اسمه

تقديرا لدفاعه في الأمم المتحدة عن استقلال تونس، ورد الجمالي هذا الحنو التونسي بأن اوصى ان يدفن في ثراها الذي احتضنه كوطن ثان بعد ان ضاق عليه وطنه الاول: العراق.

صور فوتوغرافية كثيرة.. من بينها صورة مع الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، لعله يفتخر بها اكثر من سواها، مع انه كان احد اكثر الشخصيات التي قذفها الاعلام المصري في الخمسينات بسلسلة من الإتهامات السياسية والشخصية، وكان ذلك محفزا لي لاساله عن سر تعلقه بذكرى لقائه الاول مع عبد الناصر، في حين انهما افترقا سياسيا في ما تبقى من حياة الرجلين.

وفوجئت به يقول: لقد شجعت عبد الناصر على اعتناق فكرة الوحدة العربية واسمعته كلاما كان يستمع اليه لاول مرة في حياته عن مشروع اتحاد عربي وعن الوحدة ومصير العرب، عندما التقينا في القاهرة سنة ١٩٥٤.

ذهب الذين شتموه وبقي يتأمل ما فعلوه

– لقد كان لك خصوم كثيرون خارج العراق كما داخله.. ماذا فعلت عندما شتموك..؟

ـ ضحك الجمالي وقال: الواثق من نفسه ومن سيرته لا يرتجف من الذين اختاروا قذفه بالسوء.. انه يزداد تيقنا بانه على حق.. وهذا ما توصلت اليه على الدوام بعد ان عملت على تشويه سمعتي اكبر مراكز الدعاية في العالم بما فيها الدعاية الصهيونية في الولايات المتحدة التي رأى احد مراكزها فيّ خصما لا تقل خطورته عن هتلر حين اخذوا صورة هتلر وصورتي ووضعوهما على شريط واحد للاشارة الى اعداء الصهيونية في العالم يومئذٍ.

لقد رحل معظم الذين خاصموه، وشتموه، من سياسيين منافسين داخل العراق وخارجه، وقتل اولئك الذين حكموا عليه بالاعدام واهانوه في محكمة الشعب التي انعقدت جلساتها بعيد ثورة الرابع عشر من تموز (يوليو) ١٩٥٨ في العراق، وبقي هو.. الشاهد الناطق يعطف على قاتليه ويجد اعذاراً لهم.

واضطر رؤساء العراق لمراسلته ودعوته لزيارة وطنه الاول. وكانت هناك على الدوام اسباب تسعفه للاعتذار؛ دون ان يفصح عن اصل قراره عندما غادر بغداد.. تذكرة في طريق واحد..

واذكر انه قال بشيء من السخرية والتعجب: انهم يريدونني ان اعود الى العراق بعد ٣٥ سنة.

ثم عاد وسألني: ما هذا الذي يحدث، لقد جئتني انت يوما.. وجاءني السفير يحمل دعوة لي لزيارة العراق وكنتما تعملات في الحكومة اما اليوم فانتما خارجها.. فسر لي هذا الذي يحدث؟.. وكيف يريدونني ان اذهب الى بغداد..؟

يشم رائحة الموتى الآتين بعده

كان من العسير عليه بمكان ان يستوعب اي تفسير للقتل.. لماذا تقطع ابدان الناس على اساس مواقفهم وآرائهم السياسية.. وكيف يتحكم الرعاع في الشوارع العامة بمصائر النخبة السياسية.. فيكونون القاضي والجلاد معا.. ان ما شهده منذ فجر الرابع عشر من تموز (يوليو) ١٩٥٨ هو نقيض لما نشأ عليه من تعليم وتربية، ولذلك استنتج بأن الدم الذي

هدرت شلالاته يومئذ سيستجلب مزيدا من الدماء، وان دوران دولابه لن يتوقف عقودا اخرى، وكان السياسي الوحيد الذي استخدم وصف (العالم المتمدن) في دفاعه عن نفسه امام محكمة الشعب في خريف ١٩٥٨، وبدا كأنه كان يشم رائحة الموتى الآتين.. فضاق عليه العراق، وقرر ان يغادره فور اطلاق سراحه سنة ١٩٦١ متخذا قراره باللاعودة.. بعد ان ارتضى الغاء طموحاته السياسية وكبح اي نزعة لاستعادة وجاهته في الحياة العامة.. وهو امر يندر ان يفعله من كان اقل شأنا منه في الدور السياسي ممن غادر العراق ويده على حافظة اوراقه يتلمس تذكرة العودة التي تبقى في النهاية آخر المستمسكات الملقية عند مقابر الذين ماتوا وعينهم على طريق الرجوع..؟

أبناء المزارات (*)

انه واحد من ابرز السياسيين الذين خرجوا من احدى مدن المزارات الشيعية المقدسة في العراق، فقد كانت هذه (المزارات) مصدر انجاب لنخبة سياسية من ابناء كبار الملاك والطبقة الوسطى على حد سواء طوال العقود الثلاثة التي اعقبت الاستقلال، غير ان هذه القاعدة تراجعت بعدئذ الى خلفية ما افرزته الانقلابات العسكرية المتتالية حيث تنوع مصادر انجاب النخب السياسية، وصارت الارياف احد اهم هذه المصادر الى جانب تعدد مستويات الشرائح الاجتماعية التي تخرج منها هذه النخب، فتراجع دور الطبقة الوسطى اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا لصالح ابناء المزارعين والطبقات الاجتماعية الادنى التي قفزت الى واجهة الحياة العامة متخطية دور الطبقة الوسطى المنافس التقليدي الذي كان يحول دون صعودها وطموحاتها التي كانت محط تحفظ من حيث نتائجها على نظام القيم في المجتمع كله عندما يجري تعميم قيم المجتمع الزراعي المتخلف على نظام المدينة بكل ما عرف به من تنظيم واعتدال.

ويعتقد بعض السياسيين المعاصرين ان احتكار (ابناء المزارات) للمواقع القيادية في الحكم في المراحل المبكرة من تاريخ العراق السياسي الحديث قد ادى الى تغييب ارادة الجموع الفقيرة والريفية كما غيب الاجيال الجديدة التي لم تكن قادرة على ايصال صوتها الاجتماعي الجديد عبر الوجوه السياسية التقليدية التي عجزت عن الانفتاح وتمثل تطلعات الفئات الاجتماعية المعزولة. وربما يفسر هذا الاعتقاد اسباب التناشز الحاد بين ابناء المدينة الدينية وبين ابناء الارياف الفقيرة الاقل نموا مما يحيط بتلك المدن وهو انفصال اجتماعي وفكري قبل ان يصبح انفصاما سياسيا.

مصر وسوريا.. والعلاقة مع واشنطن

حوكم الجمالي امام محكمة الشعب سنة ١٩٥٨ وظلت سيرته موضع جدل بين خصوم رأوا فيه رجل امريكا الاول في العراق وارادوا تبديده بالمطلق ومؤيدين اعجبوا بآرائه الفكرية وروحه المتمدنة ومهارته السياسية ودفاعه عن القضية الفلسطينية واستقلال تونس والمغرب

وليبيا، غير ان الاهم في سيرة هذا الرجل، ان كل الموضوعات التي شغلته وكانت محل خلاف، ما زالت هي نفسها التي تشغل العراق امام ذاته وفي محيطه الاقليمي.. وليس هذا بأمر غير متوقع.. اذ يتحسس الساسة العراقيون على معظم ما بينهم من تناقضات نقاط التماس الحرجة التي تتمحور حولها (القضية العراقية) التي لا تبدو وليدة الامس القريب وحسب.. بهل هي نتاج الوضع الجيوبوليتيكي للبلاد في جانب ونتاج البنية التي ظهرت عليها دولته الحديثة منذ بواكير سنوات الاستقلال في جانب آخر.

الدول مثل الاشخاص في مزاجها.. ومثل الاشجار في خضوعها لعوامل التعرية الطبيعية.. وطالما بقيت في مكانها فان ما يشغلها قد يكون متماثلا حتى لو كانت هناك خمسة عقود تفصل بين واقعة واخرى، ومن هنا فان المعضلة لم تكن يوما في تشخيص المشاكل والحاجات لكنها كانت في طرائق معالجتها واساليب التعامل معها.

ومن يتتبع الجمالي يرى ان هاجس العلاقة مع مصر كان يؤرق السياسيين العراقيين الذين يستشعرون معاني التنافس التقليدي بين العراق ومصر وبين الواديين الخصبين حول الرافدين في العراق والنيل في مصر وان طابع التنافس هو سمة تقليدية في العلاقة تقترب احيانا من بعض اشكال التعاون وتبتعد احيانا لتصبح اقرب الى اشكال العداء والتنازع.. فلا تعاون مستقر.. ولا عداء دائم.. يتهيبان من بعضهما البعض.. ويحسبان لكل منهما وزنه وقدرته على ايقاع الاذى في حالة الخصام.

كما ان هاجس العلاقة مع سوريا كان هو الآخر يشغل سياسيي الامس كما يشغل سياسيي اليوم حيث يسود مناخ من الشك والريبة، ولا تلغي هذه الشكوك الادراك العميق بأن اوضاع سوريا السياسية تنكعس في حالة العراق وان دمشق هي امتداد لبغداد على الرغم من كل ما كان يكتنف علاقتهما ايام الجمالي ونوري السعيد والسويدي وصالح جبر من تحفز وتدخل في الشؤون الداخلية.. ولم يكن هناك على الدوام منتصر في النزاعات التي تنتهي اسبابها الظرفية بانتهاء جيل سياسي لتجد لها اسبابا اخرى لدى جيل يأتي من بعده.

اما العلاقة مع الدول الكبرى فكانت بالامس، كما هي اليوم، هاجسا عراقيا يشغل النخبة الفكرية والسياسية، وخاصة ما يتعلق منها بالولايات المتحدة التي كان الجمالي يعد اول سياسي عراقي تقليدي يجنح نحو التعاون معها على حساب العلاقات التقليدية بين العراق وبريطانيا في العهد الملكي.. وظل الامر يشغل الجمالي الى اواخر ايام حياته: هل ان الولايات المتحدة متمدنة الى الحد الذي تصلح فيه لقيادة العالم.. ام ان التعاون معها منذ مطلع الخمسينات كان جريا وراء سراب وخطأ يجدر ان يصحح.. ومات الرجل دون العثور على اجابات كافية لتساؤلاته.

مواطن آخر يرحل في المنفى

"اعترف الآن اننا لم نعلم الناس بما يكفي لان العلم كان سيهذب النفوس وينأى بها عن العنف."

مات رجل كان من اعظم من بقي حيا طوال القرن العشرين. ظل يحلم بالأمن والحرية ويعتقد ان هناك قيمتين مقدستين في الوجود: (حرمة الحياة.. وحرية الفكر).
رحل مواطن عراقي آخر في المنفى، حيث ينتظر ثلاثة ملايين سواه مصائر يكتنفها الغموض والحزن والحسرة.

من آراء الجمالي في الحوار معه

لم أكن رجل امريكا.. بل كنت أضرب واحد بالآخر من أجل مصلحة العراق
يقول الجمالي: لم أكن رجل امريكا في العراق كما كان يعتقد بعضهم، لا بل اني لم اكن افرق بين هذا وذاك الا على اساس ما أعتقد انه اكثر نفعا للعراق، وكنت (اضرب واحد بالآخر).
وقد شهدت الكثير من حالات التنافس بين الدول الكبرى على مصالحها في العراق، ومن ذلك ان التنافس كان على اشده حول مسألة نزول الطيران الدولي في العراق خلال الحرب العالمية الثانية، وكان البريطانيون يرفضون يومئذ اعطاء الامريكان حق نقل الركاب الى العراق، وكنت يومها مديرا عاما لوزارة الخارجية، يومها جاء الوزير البريطاني (أرنست بفن) وكتب الى الجنرال الامريكي (مارشال) يدعوه للتعاون على تنمية العراق بالتعاون مع بريطانيا، لكن موظفي الخارجية البريطانية كانوا ضد وزيرهم في هذا الاتجاه للتعاون مع الامريكان حول العراق، واصروا على استمرار سياسة الاستفراد بالعراق.
وحدث انني كنت رئيسا للوزراء (١٩٥٣ - ١٩٥٤) عندما عرضنا مناقصة لبناء سد (دوكان) وكان اقل العروض كلفة ذلك الذي تقدم به الفرنسيون فاعطيناه لهم، ولم نعط العمل للبريطانيين لانهم قدموا أعلى الاسعار على الاطلاق، كا ان عرض اليوغسلاف كان اعلى سعرا من العرض الفرنسي الذي فضلناه.
يضحك الجمالي ويستطرد: نعم كنت اضرب واحد بالآخر واعامل الغربيين بالتساوي، واعطيك مثالا يعود الى سنة ١٩٣٨ يوم كنت مديرا عاما لوزارة المعارف.
ذهبت الى المانيا لانهاء مشاكل وقعت بين السفارة والطلبة العراقيين هناك، وكان توفيق السويدي وزيرا للخارجية وهو الذي اوفدني في المهمة، ونجحت يومها في حل المشكلة، واتخذت من الزيارة سببا للقيام بجولة على الجامعات الالمانية للاطلاع على طرائق التعليم، فغضب البريطانيون وثارت ثائرتهم، والتقيت في برلين مع السير (جورج فوريس) القائم بالاعمال البريطاني وتعشيت معه في منزله وقد استمع مني الى انطباعاتي حول تطور التعليم في المانيا، ويومها جاءتني دعوة من المجلس الثقافي البريطاني لزيارة لندن، فاتصلت ببغداد وقبلت الدعوة وتوجهت الى بريطانيا حيث كان في استقبالي مفتش من المراسم الملكية، وبقيت فيها اربعين يوما زرت خلالها معظم الجامعات بهدف معادلة شهادة الثانوية العراقية.. وكان شعاري: هذا باوند وهذا دينار.. كيف اجعل الدينار موازنا لقوة الباوند.. وقد وافق الجميع على طروحاتي عدا جامعة (لندن).. وقلت لرئيس جامعة

(برمنكهام) سنبعث الطلبة الى امريكا وفرنسا والمانيا اذا لم تعادلوا الشهادة الثانوية العراقية.. بهذه الروحية كنت ابحث عن مصالحنا.

هذه حكايتي مع عبد الناصر

يقول الجمالي: كنت رئيسا للوزراء عندما ذهبت الى القاهرة في كانون الثاني سنة ١٩٥٤ والتقيت في نادي الضباط مع عبد الناصر بناء على طلبه وكنت احمل معي مشروعا لقيام اتحاد تدريجي بين الدول العربية وقد عرضته عليه، واذكر انه بعد الغداء مباشرة جاء محمد نجيب وكان ما يزال رئيسا ودعاني الى العشاء، في منزله وحدنا، لكنني قلت له ان سفير العراق في القاهرة نجيب الراوي سيكون معنا، وذهبنا لنجد عبد الناصر هناك.. كانت ليلة طويلة فقد خضنا في مناقشة فكرة الاتحاد والوحدة، واستنتجت بعد ذلك اللقاء ان عبد الناصر اعتنق بعد تلك الليلة فكرة الوحدة العربية. كان الحوار وديا وقلت لهم انني ادعوكم (محمد نجيب وعبد الناصر) الى سفارة العراق، لكن نجيب اعتذر لوجود دعوة له في مكان آخر، اما عبد الناصر فقال: انا سأجيء.. وجاء فعلاً، وسهرنا في السفارة وكان الموضوع الشاغل هذه المرة هو العلاقات بين العراق ومصر، واخرج عبد الناصر جريدة «نيويورك تايمز» من جيبه وكان فيها خبر عن عقد الحلف التركي الباكستاني وجاء فيه ان العراق سينضم الى هذا التحالف، فقلت له ان احدا لم يتصل بنا حتى الآن ولكن اذا اتصلوا فنحن اعضاء في ميثاق سعد آباد ومن الطبيعي في هذه الحالة ان ننضم الى الحلف.. فقال عبد الناصر ان عندي رجاء بأن لا تنضموا إلا بعد الانتهاء من مفاوضاتنا مع بريطانيا للجلاء عن السويس ولا نريد ان تشعر لندن اننا ضعفاء.. فقلت له: بكل سرور.. هذا طلب غير صعب. وعند عودتي الى بغداد فوجئت بأن اذاعة (صوت العرب) تشن هجوما عنيفا على العراق والجمالي لدخوله الحلف التركي - الباكستاني وتبعت ذلك احداث في بيروت وقتل اشخاص.. واستدعيت حسين جميل وفائق السامرائي بعد مظاهرة كلية الحقوق وقلت لهما ان الاخبار مدسوسة علينا، ولذلك لم تخرج الظاهرات في بغداد.

ومرت الايام وجاء أرشد العمري الى الوزارة، وشكل نوري السعيد وزارة.. وجاء الى العراق صلاح سالم يحمل اعتذارا مصريا الى فاضل الجمالي لان (الخبر مدسوس)، وفي سنة ١٩٥٦ كنت اشد المدافعين عن مصر في الامم المتحدة لكن نوري السعيد لم يكن يذيع خطاباتي في بغداد لان الخلاف بينه وبين عبد الناصر كان شديدا.

التوسط لدى واشنطن من أجل سوريا

ويرى الجمالي: ان الاتحاد بين سوريا والعراق كان يمكن ان يكون حجر الاساس في بناء اي نظام للتعاون، وقد عملت منذ سنة ١٩٤٩ من اجل قيام هذا الاتحاد عندما جاء حسني الزعيم وسقط الدواليبي، وكنت انسق آنذاك مع حزب (الشعب) والحزب (الوطني) وكان يساعدني أكرم زعيتر في الاردن وكامل مروة في لبنان.

وعندما علم عبد الناصر بعدئذٍ اننا نعمل على ضم سوريا عمل ضدنا لايقاف ذلك المسعى، ولذلك فقد كان من الطبيعي ان اهاجم الوحدة السورية ـ المصرية في جريدة (العمل) لانني وجدت فيها تحديا للاتحاد الذي كنا ننادي به.. وكنت أشعر على الدوام ان وحدة بغداد ـ دمشق ممنوعة. واذكر اني ذهبت سنة ١٩٥٤ الى الولايات المتحدة واجتمعت مع (ايزنهاور) و(جون فوستر دالاس)، وكلفني السوريون ان اسأل عن مكانتهم في امريكا وكذلك عن موقف بريطانيا والولايات من مشروع الاتحاد مع العراق.. وقد بحثت الأمر في واشنطن ونقلت آراء السوريين، اما في لندن حيث توقفت في طريق عودتي فقد شرحت الامر لوزير الخارجية (سيلوين لويد) فقال: ضموا الاردن الى الاتحاد ونحن موافقون.

في حين قال لي (جون فوستر دالاس) في امريكا بصراحة: (كل اتحاد عربي لا نستطيع تأييده لان اسرائيل والكونغرس يعارضانه)، وقال «ان هناك حلا واحدا فقط حول سوريا هو ان تنضموا الى (الحزام الشمالي) ضد الشيوعية حتى نستطيع القول بأنه لا يوجد خطر على اسرائيل».

وبصراحة فقد صرت متحمسا منذ ذلك الحين لميثاق بغداد من اجل سوريا.. لانني كنت اريد الوحدة معها، وبذلت جهودا كبيرة، اقنعت عدنان مندرس في تركيا، واقنعت بيير الجميل الذي كنت اعرفه منذ اول لقاء بيننا سنة ١٩٣٦ ببغداد (وقد بعث اليّ اول برقية تهنئة بعد خروجي من السجن) كما تحدثت في الموضوع مع البطريرك (المعوشي) في لبنان وهذا الرجل تدخل لانقاذ حياتي وبعث الي نذرا من العذراء.

المهم انني كنت اقول للجميع ان انضمام سوريا الى الاتحاد مع العراق لن يؤذي احدا.. القصة طويلة وفيها تداخلات.. اكتبها.. ولا تنشرها الآن يا سعد.. (المنشور هنا جزء بسيط من كل اكبر).

من أجل ولايات عربية متحدة

انني اتحادي بطبيعتي، عروبي اؤمن بامكانية قيام (ولايات عربية متحدة).. وقد رددت هذه الدعوة منذ كنت طالبا في الولايات المتحدة ولم اتوقف عن العمل من اجلها.

اتعرف كيف ينبغي ان نصف عصرنا اليوم.. انه عصر تكامل بين الدول بدلا من تزاحمها.

عالم واحد

يستطرد الجمالي: نحن في حاجة الى رؤية شاملة للعالم.. لقد مر في العراق (ويندل ويلكي) المرشح المنافس على الرئاسة ضد (روزفلت) وكان يحمل معه رسالة (عالم واحد) في سنوات الحرب العالمية الثانية.. اجتمعت به وانا مدير عام الخارجية وذهب هو ليؤلف كتاب (عالم واحد).. ومنذ ذلك الحين كنت ارى ان هناك شعورا مبنيا على الاعتراف بحقوق الانسان والاخوة الانسانية بين البشر، وقد تبلورت عندي فكرة (الكونفدرالية العالمية) لتكون دولا لها اهداف مشتركة ومصالح مشتركة.. لنتكامل بدل ان نتزاحم.. ويكون الله فوق جميع هذه الامم.

أحب الذين انتقدوني

– ألم تغضب من منتقديك؟

ـ اجابني على الفور: لا.. والله.. بالعكس احبهم واداعبهم، خذ عبد الجبار الجومرد (وزير الخارجة الأسبق) هاجمني في المجلس مما دفع بعض مؤيدين لي للرد عليه، فقلت لهم اذا كان هناك انتقاد ضد الجومرد فينبغي ان يوجه الي لانني انا الذي درسته وكنت أستاذه في دار المعلمين العالية، (الصحيح دار المعلمين الإبتدائية ـ ع. غ. د.).

اما يونس بحري (الاذاعي العراقي الشهير) فقد كان يكتب في عموده بصحيفة «العقاب» ضدي، لكنني زرته في مطعم كان له في باريس واعطيته الف فرنك غير انه اشاع انني دفعت له مائة الف فرنك، المهم، اننا في النهاية التقينا سوية في السجن بأبي غريب.. وكان يضحك ساخرا من الدنيا وما كنا فيه وهو يردد (وما قتلوه وما صلبوه ولكنه شُبّه لهم) بعد ان قيل ان الجنود اعدموني في حين انهم اعدموا شخصا آخر اعتقدوا انه فاضل الجمالي في اليوم الاول للثورة.

إعدام وستون سنة أشغال شاقة

اعتقل الجمالي يوم ١٧/٧/١٩٥٨ بعد ثلاثة ايام من انتشار اشاعة في بغداد عن اعدامه، وتبين بعدئذ ان الجمالي كان مختفيا وان الشخص الذي اعدم برصاص الجنود كان شخصاً آخر.

حكمَت المحكمة العسكرية العليا الخاصة بتاريخ ١٠/١١/١٩٥٨ على محمد فاضل الجمالي بالاعدام شنقا حتى الموت والاشغال الشاقة المؤبدة مرتين والاشغال الشاقة المؤقتة مرتين كل منها خمس سنوات على ان تنفذ العقوبات بالتداخل، واطلق سراحه بعد ثلاث سنوات اثر توسط من ملك المغرب محمد الخامس وسكرتير عام الأمم المتحدة همرشولد وزعماء آخرين.

---

[x] إن المزارات تعني، مراقد الأولياء والصالحين وقد تكون في مدن كبيرة او قرى صغيرة او في اماكن منعزلة يقصدها الناس في مواسم خاصة، ولكن مراقد الائمة من سلالة الامام على بن طالب، عند الشيعة الجعفرية في العراق وفي العالم الاسلامي تُعرف بـ(العتبات المقدسة) وتوجد في المدن الأربعة (النجف وكربلاء والكاظمية وسامراء) وان ادراجها تحت عنوان (المزارات) يصرف نظر القاريء عن المكانة والأهمية الخاصة لهذه المدن، ولانظن الكاتب يقصد ذلك.

إن هذه المدن، مدن العتبات المقدسة قد انجبت حقاً، كما يقول الاستاذ سعد البزاز، (نخبة سياسية) طوال العقود الثلاثة التي اعقبت الاستقلال وخلال العهد الملكي في العراق وذلك لأسباب تاريخية واجتماعية لامجال لشرحها. ولكن هذه (النخبة) لم تكن كما يذكر الكاتب، من (ابناء كبار الملاّكين والطبقة الوسطى على حد سواء) اذ أن غالبيتها كانت من ابناء رجال الدين وطبقة المتنوّرين التي كانت على صلة وثيقة برؤساء القبائل التي لعبت دوراً أساسياً في الثورة العراقية ضد الإحتلال البريطاني عام ١٩٢٠. فالسيد محمد الصدر، ومحمد فاضل الجمالي (من الكاظمية) والشيخ محمد رضا الشبيبي

والسيد سعد صالح (من النجف) على سبيل المثال، لم يكونوا من ابناء كبار الملاكين بأي معنى من معاني الكلمة. اما ابناء كبار الملاكين والتجار الذين دخلوا السلطة آنذاك فكانوا من ابناء المدن الأخرى كما كانوا من ابناء المدن المقدسة.
واما الحديث عن «احتكار ابناء المزارات (!)» للمواقع القيادية في المراحل المبكرة من تاريخ العراق السياسي... على حد تعبير الكاتب فهو خطأ تاريخي فادح لايتفق إطلاقاً مع الحقائق المعروفة. فإذا كان هناك احتكار للحكم في العراق في تلك المراحل فإن ذلك الإحتكار لم يكن بيد ابناء المدن المقدسة بل كان بيد ابناء المدن الكبرى، وخاصة بغداد والموصل، وعلى التحديد بيد العسكريين والمدنيين منهم الذين تدربوا وتثقفوا في العهد العثماني ولم يكن لغيرهم الا دور محدود في الحكم. وإن نظرة بسيطة الى اسماء رؤساء الوزارات الذين تولوا الحكم في ذلك الحين تظهر هذه الحقيقة بجلاء [انظر حنا بطاطو العراق.. الكتاب الأول – بيروت ١٩٩٠]. عبد الغني الدلي

أمام العراق طريق وعر للعودة الى المجتمع الدولي

ديفيد نيوسم*

٢٧ /٦/١٩٩٧

كان محمد فاضل الجمالي، الذي توفي في تونس يوم ٢٤ ايار (مايو) الماضي، واحدا من الوزراء القلائل الذين بقوا من العهد الملكي في العراق. وان رحيله يدفعنا، نحن الذين زرنا بغداد ومكثنا فيها قبل ثورة تموز (يوليو) ١٩٥٨، الى التأمل في ماضي العراق المضطرب ومستقبله المبهم.
لقد كان الجمالي واحدا من ابناء جيل من العرب ممن تلقوا تعليمهم في الجامعة الامريكية في بيروت، ورأوا ان التقارب الوثيق مع الولايات المتحدة واوروبا الغربية يحقق مصالح العرب، رغم اختلافهم مع الغرب حول موضوع فلسطين. اما في نظر الغرب، فان العهد الملكي الممتد من ١٩٢٢ الى ١٩٥٨ يعد حقبة زاهية، ايجابية في هذه الربوع القديمة التي عرفت في الماضي ببلاد ما بين النهرين. وحافظ وزراء العهد الملكي على التوازن النسبي بين اقسام البلاد الثلاثة: الشمال الكردي والوسط السني والجنوب الشيعي.
واستمرت عوائد النفط التي كان مجلس الاعمار المتمرس يديرها، لبناء السدود والبنى التحتية. وباستنثاء الموقف من القضايا المتعلقة باسرائيل، فان مواقف العراق الدولية كانت موائمة للولايات المتحدة. ان نظام الحكم اتاح قدراً كبيراً من الحرية ومن عناصر الديمقراطية، لكنه واجه شعباً شكاكاً، بلورته قرون من الحكم الاجنبي، سواء الحكم العثماني او الانتداب البريطاني. ورغم ان الانتداب كان جيداً للعراق، فان الكثير من العراقيين رأوا في النظام الملكي المفروض من الخارج، استمرار للهيمنة الاجنبية. اما الارتياب في قيادة البلاد والاعتقاد بفسادها فقد قوضا تأييد عامة الشعب للحكم.
لقد كانت التوجهات العربية لنظام الحكم الملكي في العراق واضحة ومنزهة عن الشوائب، كما يفترض. فحين دخل الملك فيصل الاول العراق عام ١٩٢٢، جلب معه الكثير من

المحاربين المخضرمين الذين شاركوا في حملة لورنس ضد الاتراك.

وشارك فاضل الجمالي في تأسيس الجامعة العربية، وكان الناطق الابرز باسم المقاومة العربية لانشاء اسرائيل في اروقة الامم المتحدة ومنابرها. لكن خطاب جمال عبد الناصر كان الاقوى تاثيرا على عقول الناس. ورغم نجاته من المصير الذي حاق بالملك فيصل الثاني وبغيره من اركان النظام، لم يستطع الجمالي ان يحظى بالتقدير لجهوده في سبيل القضية العربية، وتلقى عوضا عن ذلك، محاكمة مهينة حام فيها خطر الاعدام حول رأسه.

ومن المحزن ان واشنطن تدرك تماما ان بعض سياساتها اسهمت في اضعاف الحكم في العراق.

وخلال ما يقارب الاربعين عاما الماضية، منذ ثورة ١٩٥٨، وقع العراق، باستمرار تحت سيطرة طغاة عسكريين. اما آخر هؤلاء الطغاة، نعني صدام حسين، فقد اعتمد في فرض حكمه على قسوة اجهزة الامن وولاءات عشائرية واسرية متكاتفة، وادام بذلك تقاليد القسوة. وادت سياسات «تقديس الشخصية» التي اتبعها الى القيام بمشاريع ضخمة باذخة، وخوض حربين مدمرتين، واشاعة البؤس والحرمان في صفوف السكان.

ان طريق العراق من اجل العودة الى الحياة الطبيعية تبدو عصية على الرؤية. لقد اوضح جيران العراق، وبخاصة السعودية، انهم يرفضون تقسيم العراق. مع ذلك فان صدام حسين واسلافه المباشرين عملوا على اذكاء الانقسامات بين الشمال والوسط والجنوب، مما يجعل استعادة التوازن بين المناطق اصعب من ذي قبل بالنسبة لأي زعيم يخلفه.

ولم تستطع المعارضة العراقية في المنفى ان تقدم اي بديل واقعي عن صدام حسين. ثم ان جهود وكالة المخابرات المركزية الامريكية لتنظيم المعارضة في شمال البلاد، كانت الى حد كبير، تفتقر الى الاتقان. واذا ما حصل تغيير في بغداد، فالاحتمال الارجح ان ياتي من الداخل. ولعله سيأتي من اوساط لا يمكن لاحد التنبؤ بها.

ويبقى ان نجاح نظام الحكم القادم في العراق سيعتمد اما على ابداء القدر نفسه من الاستبداد والقسوة، او على برنامج وطني ناجح تتجاوب معه كل القطاعات. ان العنصر المنطقي الارجح للتغيير سيكون عنصراً من داخل الجيش، لكن المؤسسة العسكرية العراقية، في المقابل، تخضع لرقابة صارمة، تتيح سحق اية بادرة تمرد بسرعة وعنف.

كذلك يبقى القول ايضا ان ذكرى فاضل الجمالي واقرانه ستبقى حية لدى كل من عرفهم بوصفهم رجالا حققوا لبلادهم المضطربة الانسجام والتقدم. وبالطبع لا يمكن استنساخ جيلهم. ولكن ليس من الوهم الامل في ان يأتي من يعيد هذه البلاد الساحرة، ارض الرافدين، الى موقعها اللائق بين امم الشرق الاوسط.

● وكيل سابق لوزارة الخارجية الامريكية، كما عمل سفيراً لبلاده في عدة دول، وهو الآن استاذ للعلاقات الدولية في جامعة ڤرجينيا ـ المقال خاص بـ «الشرق الأوسط» ـ بالاتفاق مع «كريستيان ساينس مونيتور».

عن فاضل الجمالي في أربعينه
فائق الشيخ علي
«الحياة» ـ لندن ـ ٤ / ٧ / ١٩٩٧

في ١٩٠٣ حين ولد محمد فاضل الجمالي، في مدينة الكاظمية قرب بغداد، كان العثمانيون يشيعون سياسة «التتريك والتجهيل» معاً في العراق، فشهدت الكاظمية حركة إصلاحية كبرى تزعمها الشيخ الامام مهدي الخالصي، ودعا الى التنوير والقضاء على البدع. وساهم في قيادة ثورة العشرين، وحثّ الناس على التنبه واليقظة لما يحيط بهم من مخاطر، مستخدماً منبره العلمي في «مدرسة الامام الخالصي» في الكاظيمة، والتي درس فيها الجمالي، للترويج لأفكاره ودعواته. وعندما قررت الحكومة العراقية عام ١٩٢٢ ارسال أول بعثة من الطلبة العراقيين للدراسة في الجامعة الامريكية في بيروت، رفض الشيخ عباس الجمالي (والد محمد فاضل وكان رجل دين تقليدي) ارسال ولده فيها، ما الجأ الابن للاستنجاد باستاذه الامام الذي افتاه بالسفر الى بيروت! متجاوزاً على كل ما يُشاع في العراق عن الجامعة الامريكية في بيروت من انها «استعمارية صليبية كافرة». وفي بيروت وجد الطلبة العراقيون انفسهم بحاجة الى تأسيس جمعية عراقية تجمعهم وتلمّ شملهم في اطار الاخوة العراقية والرابطة الوطنية يعولون عليها امر تنوير الناس وتنبيه الأمة الى اهمية النهضة العلمية والادبية الحديثة باعتبارهم النخبة المثقفة والفئة المتنورة في المجتمع العراقي.

ولما توسموا في الجمالي أخلاقه العالية وتنوع ثقافته وسعة اطلاعه، فضلاً عن بروز ملامح القيادة المبكرة لديه، أودعوا اليه في ٢٢ / ١٠ / ١٩٢٤ ترؤس الاجتماع لانتخاب الهيئة الادارية الاولى لسنة ١٩٢٤. وفي يوم الجمعة في ٥ حزيران (يونيو) ١٩٢٥ عقدت الجمعية العراقية اجتماعها الاخير لتلك السنة وانتخب الجمالي رئيساً لها، بحسب تأريخ احمد سوسة. اما أعضاء الجمعية فلعبوا أدواراً سياسية وثقافية وغيرها في العراق عند عودتهم اليه بعد تخرجهم من الجامعة الامريكية في بيروت، وتبوأوا مراكز قيادية في الدولة العراقية، اذ يكفي ان الجمالي نفسه شكل حكومتين في العهد الملكي ورأس البرلمان مرتين ايضاً وتولى حقيبة الخارجية ثماني مرات، ما يعني ان أعضاء الجمعية حققوا الاهداف التي من اجلها أسسوا جمعيتهم.

لقد شكل الجمالي وزارته الاولى بعد استقالة وزارة جميل المدفعي السابعة وليس خلفاً لنوري السعيد كما زعم توفيق السويدي في كتابه. واستمرت من ١٧ ايلول (سبتمبر) ١٩٥٣ الى ٨ آذار (مارس) ١٩٥٤. ووزارته الثانية كانت من ٨ آذار (مارس) ١٩٥٤ الى ١٩ نيسان (ابريل) ١٩٥٤. وقد توّجه الى اصلاح الاوضاع الداخلية ولم يكن بحاجة الى الشهرة لأن العالم والعراقيين عرفوه منذ كان يقف خطيباً مفوهاً في المحافل الدولية يساند الدول الفقيرة ويدافع عن مصالح العراق. واذا ظل خصومه ينظرون اليه بوصفه ربط العراق باحلاف ومواثيق دولية «استعمارية»، فان الدراسة الموضوعية لتلك الأحداث تبدد الكثير من الاوهام وتكشف الكثير من الاكاذيب، كما ذكر لي الجمالي قبل وفاته ببضعة اشهر.

وفي عهد وزارته قاد ثورة بيضاء ضد التخلف والمرض والفقر، اعداء الشعوب الثلاثة، وانطلق مجلس الاعمار بمشاريعه وخططه الاصلاحية في البناء والاعمار، وحمل على المحسوبية والمنسوبية وضخ دماء جديدة من الوزراء الشباب في الحكومة العراقية لا يزال ثلاثة منهم على قيد الحياة ويقيمون في لندن (عبد الكريم الازري، عبد الغني الدلي، عبد الامير علاوي)، وأزال مظاهر العَسَف والتسلط في الدولة العراقية، والغى الاحكام العرفية التي كانت تطبق في البلاد منذ عهد وزارة نورالدين محمود في ٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٢، وسمح للاحزاب بمعاودة نشاطاتها السياسية، وافسح في المجال امام الأعلام وحرية الصحافة. وبالرغم من كل تلك الانجازات وقصر عمر الحكومة، لم تتعرض وزارة في حياة الدولة العراقية وقتذاك الى نكبات وهزات كالتي تعرضت لها وزارة الجمالي، ففي عهدها اجتاح العراق أخطر فيضان عرفه تاريخه الحديث. وكان بحق «كارثة ما بعدها كارثة» على حد تعبير مؤرخ العراق عبد الرزاق الحسني في «تأريخ الوزارات العراقية» حيث هدد سكان بغداد بالرعب الحقيقي.

ولم ينتم الدكتور الجمالي في حياته الى أيّ حزب سياسي ولم يسع الى تأسيس أي حزب، في وقت كان العراق يضج بمختلف الاحزاب السياسية والاتجاهات المتعاكسة. كما ان ظروف ومتطلبات العمل السياسي كانت تملي على المسؤولين التحزّب او التحالف مع هذه الجهة او تلك - في أقل تقدير - لخلق حال من التوازن بين القوى السياسية المتصارعة ومراكز النفوذ، لكنه الوحيد الذي بقي مستقلاً معتمداً على نفسه وثقله في الدولة ومكانته لدى الكل. وكانت نظريته - حتى وفاته - بأنه من الصعوبة بمكان ان يجتمع عشرة عراقيين تحت سقف واحد ويظلون مخلصين لما اتفقوا عليه، لا تضعفهم النكبات ولا تشتتهم الاحداث. وأحسب انه كان صادقاً محقاً في تشخيصه هذا الداء الذي ما زال مستشرياً في صفوف العراقيين الى اليوم. ولم يكن الجمالي بحاجة الى خبرة ثلاثة أرباع القرن العشرين من العمل السياسي ليتوصل الى تلك النتيجة. ولم يكن بوسعي ان أفهم خلفية هذه المبدئية ونظرته المتشائمة الى الاحزاب والمتحزّبين لولا انني عدت الى ما كتبه احمد سوسة من مذكرات، فوجدت ان الجمالي اتخذ موقفه المتزمت ذاك منذ كان طالباً في بيروت وهو ابن العشرين، ناهيك عن تجاربه السابقة التي استقرأها من ثورة العشرين وما صاحبها من خيانات ووشايات ثم المعارضة الشديدة التي كان يواجه بها رجال الدين المصلحون من قبل المتخلفين والتقليديين والمتزمتين. يذكر صديقه سوسة بأنه استلم رسالة بعثها الجمالي له من بيروت الى الولايات المتحدة يخبره فيها بأن حالة من الانقسام بدأت تدبّ في أوساط الطلبة العراقيين في بيروت. وبالرغم من تطمينات سوسة للجمالي بأنه لا يزال هناك «بارق أمل في اخلاص الكثير من الاخوان وصدق معظمهم»، فان الجمالي يزداد تمسكاً برأيه على «اننا قد اتفقنا على ان لا نتفق، وقد اتحدنا على ان لا نتحد»!

بديهي ان سيرة الجمالي السياسية قد لا تكون السيرة المُثلى لدى خصومه ومعارضيه او حتى لدى أولئك الذين لم يدرسوه، ولكن عصاميته وتاريخه النضالي يفتقر اليهما كثيرون.

لقد أخذنا عليه نحن (معارضو نظام صدام) انه لم يقل كلمة واحدة بحق صدام بالرغم من كثرة الجرائم التي ارتكبها بحق العراقيين وغيرهم. وهو مأخذ لا غبار عليه. وزعم البعض انه عميل لنظام صدام يتقاضى راتبه بانتظام من السفارة العراقية في تونس. ولكننا لم نتحسس حقيقة مشاعر الجمالي وخلجاته، وكيف كان ينظر الينا. فهو فضلاً عن كونه مربياً، كان شاعراً مرهف الاحاسيس والعواطف حزّ في نفسه ان يرى من كان يربيهم ويخدمهم يجرجروه الى محاكم ثورية تحكم عليه بالاعدام والسجون المؤبدة والغرامات الثقيلة. بينما كان الشعب يصفق مؤيداً تلك الاحكام! ورجال العهد الملكي يسحلون في الشوارع وتعلق جثثهم على الاعمدة والبنايات.

وحين وجد صدام المعارضة تتعرض للجمالي بالانتقاد وهو لا يعبأ بها ويواصل كتاباته ضد الامريكان والحلفاء وهيئة الامم المتحدة، سارع العام الماضي الى استمالته اليه فبعث مسؤولاً عراقياً زاره حاملاً اليه رسالة من صدام يدعوه فيها للعودة الى العراق معززاً مكرماً وبالطريقة او الاسلوب الذي يراه مناسباً له.

ورفض الجمالي وخابت مساعي صدام. اذ كيف يعود رجل كالجمالي عزيز النفس غالي الكرامة الى بلد أهانه وحط من شأنه وكبريائه فحكم عليه بالاعدام وكادوا يسحلونه في الشوارع؟ لقد ظل لآخر لحظة من حياته يسائل من يلتقيه من العراقيين، لماذا ثرتم علينا؟ ماذا فعلنا بكم؟ ألم نعمل من اجلكم؟ ولم يجبه أحد لا سيما وهو يقارن بين «العهد المباد» وعهد «القائد الضرورة» حتى مات في الرابع والعشرين من شهر أيار (مايو) الماضي عن عمر ناهز الرابعة والتسعين، بعد ٣٩ عاماً من الحكم عليه بالاعدام!

رئيس الوزراء العراقي السابق غاب ولم يغيّر قناعاته

فاضل الجمالي: العراقيون يدفعون اليوم ثمن ثورتهم في العام ١٩٥٨

فائق الشيخ علي

«مجلة الوسط» الاسبوعية - لندن - ١٤ / ٧ / ١٩٩٧

في الجهة المقابلة لمتحف الشمع «مدام توسو» في لندن، حيث تنتصب تماثيل عشرات الزعماء السياسيين من العالم، لمحت من بعيد سياساً كبيراً قد لا يعرفه كثيرون إذا رأوه بتلك الحال. كان يتوكأ على عصا، ويمشي بخطوات وئيدة، يحاول الانتصاب، لكن اعوام عمره الثلاثة والتسعين اثقلت كاهله، فقوست ظهره وهو يرفض بعناد ان ينحني لها. قلت لمعرفي: أليس هو الدكتور محمد فاضل الجمالي رئيس وزراء العراق السابق؟ حدق وقال: أظنه هو.

اقتربنا منه وسلمنا عليه، ثم قدمني صاحبي اليه معرفاً بأني انا الذي هاجمته قبل فترة في مقال أعرف بكتابه الاخير «فلتشرق الشمس من جديد على الامة العربية» وزاد ولده اسامة الجمالي: «هذا الذي تساءل متى تشرق الشمس وصدام يطفئها؟».

هكذا بدأ هذا الحوار الذي استغرق نحو خمس ساعات على مدى يومي ٢٨ و٢٩ آب (اغسطس) ١٩٩٦. ففي فندق صغير يقع في منطقة بيكر ستريت (وسط لندن) اعتاد الجمالي ان ينزل فيه عند زياراته للندن، اتخذ الشيخ الكبير مكانه على أريكة تسع شخصين في صالة آثاثها قديم من الطراز الفيكتوري.

جلست قبالته ورحت اساءل نفسي هل هذا هو الفندق نفسه الذي كان ينزل فيه الجمالي في الاربعينات والخمسينات يوم كان يزور لندن بصفته الرسمية في الدولة العراقية؟

اين الصحافة؟ اين الحراس؟ اين المرافقون؟ هل هذا هو الجمالي الذي كاد ان يعدم قبل ٣٨ عاماً؟

كيف سأحاور رجلاً الفارق بيني وبينه ٦٠ عاماً بالتمام والكمال؟ يوم ولد الجمالي العام ١٩٠٣ لم يكن جدي قد ولد بعد، ويوم حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة كولومبيا العام ١٩٣٢ لم يكن والدي قد ولد بعد، ويوم أطلق سراحه من السجن العام ١٩٦١ لم أكن أبصرت النور بعد.

● بودي ان نبدأ من النهاية، فانت منذ حرب الخليج الثانية والى اليوم تهاجم الولايات المتحدة. ألم تكن رجلهم الاول في العراق؟

- كنت - وما أزال - صديقهم المخلص، امدح سياساتهم حين اراها قائمة على المبادئ السامية وقيم العدالة كتلك التي اعلنها الرئيس الامريكي ولسون، وهي مبادئ انسانية عظيمة لو عملوا بها واخذت بها الشعوب والدول الاخرى لتجنبوا الكثير من المساوئ. وانتقدهم وانصحهم حينما اراهم يحيدون عنها ويتعاملون مع الدول والشعوب الفقيرة والصغيرة وفقا لمصالحهم الضيقة وغير المشروعة واهوائهم الشخصية. فانا اتعامل معهم كند وليس كطرف ضعيف، أنا اعرفهم ولهذا اعتبر من واجبي مصارحتهم بكل ما اعتقده صحيحا لا مجاملتهم والسكوت على تصرفاتهم.

● وهل يستمعون اليك؟

- لا يزال لديَ اصدقاء في الولايات المتحدة وانا صديق حميم لشعبهم اكتب اليهم والى رؤسائهم - كالرئيس كلينتون مثلاً - ووزرائهم وأنشر في صحفهم ما وجدت الى ذلك سبيلاً لأخاطب الرأي العام الامريكي. واعتقد ان ذلك قد يؤثر في سياساتهم، فالواجب يقتضي منا ان نخاطبهم ونتواصل معهم لا ان نسكت عليهم. انا صديقهم منذ ٧٣ سنة، اذ درست في جامعاتهم سواء في بيروت ام في الولايات المتحدة. وهم ساهموا في تكويني وقد تشبعت بأفكارهم ومبادئهم واعرف الطريقة التي يفكرون بها وينظرون على اساسها الى الشعوب.

● لم تقتصر انتقاداتك على الولايات المتحدة انما تجاوزتها الى هيئة الامم المتحدة حتى وصل الحال بك الى القول انه لم يعد هناك مبرر لوجودها وشرعيتها؟

- انا عضو مؤسس للأمم المتحدة، وأنا احد اثنين ما زالا على قيد الحياة من الذين صاغوا ميثاق الامم المتحدة ووقعوا عليه في سان فرانسيسكو العام ١٩٤٥. ومن هذا المنطق اتحدث معهم. لست طارئا على المنظمة الدولية حتى لا يجوز لي انتقادها. فنحن حينما وقّعنا على الميثاق

واقررنا مبادئ الامم المتحدة لم نوقع على منحها صلاحية قتل الشعوب وفرض الحصار والعقوبات غير الشرعية على الدول وشنّ الحروب عليها، انما وقّعنا على ميثاق يُقرّ السلم والامن الدوليين ويجنّب الشعوب والدول الكوارث ويحقق الامان سواء للدول الخارجة من الحرب العالمية الثانية العام ١٩٤٥ ام غيرها. ان ما يحصل الآن خرق فاضح لكل المبادئ والاعراف والقوانين الدولية، لهذا اطالب الامم المتحدة بالعودة الى صيغة الميثاق وعدم الانجرار وراء سياسات الولايات المتحدة التي تفرض عليها ارادتها وتتسبب في انحرافها عن الأهداف التي من اجلها أنشئت المنظمة الدولية.

● لكنك اول من ادرك هيمنة الولايات المتحدة على الامم المتحدة وانا مستغرب من تأخرك ٥٠ عاماً حتى تقدمت اخيراً باقتراح اجراء اصلاحات فيها. لماذا لم تنتبه الى ذلك في ١٩٤٥؟

- في ذلك الوقت كانت دول العالم خارجة لتوها من الحرب، والمجتمع الدولي يعاني كثرة المآسي والكوارث التي خلفتها الحرب. وانتصر الحلفاء ونحن (المملكة العراقية) معهم. لهذا وافق ممثلو الدول على الميثاق الذي وضعناه بمشاركة الجميع وتعاونهم. ولم يتخلف احد غير المنبوذين. ناقشنا كل فقرة وكل نقطة ولم يخطر في بال احد بان هذا الطرف او ذاك ينوي استغلاله مستقبلاً لتحقيق اهداف غير مشروعة. كان الميثاق محل توافق دولي. اما المستجدات فظهرت لاحقاً، فمن كان يتصور مثلاً ان الولايات المتحدة ستنفرد وحدها بالقرارات الدولية. كانت هناك اكثر من قوة دولية واحدة مسيطرة على العالم، ولم تخرج الولايات المتحدة وحدها منتصرة في الحرب العالمية الثانية، اما خرجت معها بريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفييتي.

لماذا لم تنتقد صدام حسين في كتاباتك؟

● ليست مشكلتي مع صدام. فأنا لا اعرفه. وكثير مما يشاع عنه أكاذيب تفبركها دوائر اعرفها واعرف مصادرها وغاياتها. انا لا اعرف شيئاً عن العراق منذ زمن بعيد. ان مبدئي ان لا اشتم احدا، ولذا لا تتوقع مني ان اتحدث بسوء عن صدام. وقد ناقشني اقرب الناس اليّ في ان اكتب شيئاً ضد صدام منذ خمس سنوات فامتنعت وباصرار وبقيت على مبدئي.

● أي مبادئ هذه التي تتحدث عنها يا دكتور؟ دمر صدام العراق ودول المنطقة فغزا الجيران وقتل الابرياء واباد الناس بالسلاح الكيماوي، وجعل من أحد أغنى بلدان العالم أفقرها. ألا يثير ذلك كله في نفسك شيئاً؟

- انتم تقولون ذلك. وأنا لا أعرف الحقيقة. انا لست معارضا لنظام صدام حتى تطالبني بشتمه. وكل ما أعرفه ان امريكا هي التي دمرت العراق وهي التي سعت الى شنّ الحرب عليه وهي التي تمارس سياسة تجويع الشعب العراقي وانهاءه.

ان هناك مخططاً امريكياً خبيثاً لجعل اسرائيل الدولة المهيمنة على دول المنطقة، ولهذا شنوا حرباً عالمية ثالثة على العراق. لم أعارض في حياتي كلها أي سلطة او حكومة في العراق ولم أنتم الى حزب سياسي عراقي لا يوم كنت في الحكم ولا يوم خرجت منه. ولم أحقد على أحد ولم أهاجم أحداً، فحتى اعدائي الذين انقلبوا علينا (في العهد الملكي) وحكموا عليّ بالاعدام لا أضمر لهم غيظا. انني احترم الروح الوطنية لدى عبد الكريم قاسم.

• انت لا تعرف صدام والعراق وتعرف ان هناك مخططاً امريكيا لهيمنة اسرائيل على المنطقة. ما هذا التناقض؟ ألم تسمع بكل ما فعله صدام بالعراق خلال حكمه؟

ـ أسمع وأقرأ وأتساءل لماذا يثيرونها الآن؟ هل هذه الجرائم جديدة؟ لماذا لم يتحدثوا عنها من قبل؟ أين كانت دعاوى حقوق الانسان؟ انني أدرك ان الموضوع ليس موضوع صدام او انتهاكات حقوق الانسان في العراق وما الى ذلك. المسألة أبعد من ذلك بكثير. كان العراق على عهدنا يتمتع بمكانة دولية مرموقة واستطاع الملك فيصل، رحمه الله، ان يقيم علاقات حسن جوار مع كل الدول الاقليمية.

• لكن صدام أساء لكل الدول الاقليمية وفقد العراق مكانته بين الدول وضاع كل ما بنيتموه.

ـ اذا كان الامر كذلك فلماذا ثرتم علينا العام ١٩٥٨؟ ألم تكونوا تعيشون بطمأنينة؟ ماذا فعلنا كي تثوروا علينا؟ انكم تنالون جزاءكم الآن. هل فعلنا ما فعله غيرنا بكم؟ لقد عملنا بكل اخلاص وتفان من أجل شعبنا ووطنا وأعددنا الخطط ووضعنا برامج الاصلاح وأنشأنا مجلس الاعمار لبناء العراق وشرعنا في البناء، واتبعنا سياسة خارجية متوازنة مع جميع الدول، وكسبنا ود الشعوب والحكومات. ولم تدعونا نكمل الطريق فانقلبتم علينا.

كان العراقي في عهدنا يستطيع الوصول الى أي مسؤول في الدولة: الملك، رئيس الوزراء، الوزراء، وغيرهم من المسؤولين. كنتم تستطيعون ان تقولوا ما تريدون وتعترضون وتتظاهرون وتكتبون ما تشاؤون وتسقطون الحكومات ثم ثرتم علينا وقتلتم رجالنا وسحلتموهم في الشوارع واحلتمونا الى المحاكم. وقد حكم عليّ فاضل عباس المهداوي بالاعدام و٥٥ سنة سجناً و٢٠٠ ألف دينار غرامة. لماذا؟

ان هناك آية في القرآن أرى من الواجب على كل عراقي ان يحفظها عن ظهر قلب تقول الآية (١١٢) من سورة النحل ﴿وضرب الله مثلاً قرية كان آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾. وها أنتم الآن تدفعون ثمن ما اقترفتموه بأيديكم. لماذا ثرتم علينا؟

• أراك تحملنا مسؤولية ما فعله نفر في ١٩٥٨. فما ذنبي أنا مثلاً ولم أكن ولدت آنذاك؟ ومن قال ان عهدكم كان مثالياً؟ تقول ان الله انتقم منا. فلماذا لم ينتقم من الامريكيين؟

ـ انه ينتقم منهم. انظر اليهم، ستجد عندهم كل الامراض والعلل والفقر والمساوئ. انهم منخورون من دواخلهم.

• لكن حقوقي أنا الاجنبي في بريطانيا مكفولة. فأين حقوق الانسان العراقي في العراق؟

ـ ولماذا لا تطبقون انظمتهم في العراق وتضمنون حقوق الانسان فيه.

• أنت حكمت العراق مرتين رئيساً للوزراء ووزيراً ومسؤولاً في الدولة. لماذا لم تسع الى تطبيق هذه الانظمة؟

ـ لم أحكم العراق سوى بضعة أشهر، ولم يكن بوسعي تنفيذ كل شيء.

الاستخبارات والامية

● أنت رئيس وزراء وتقول هذا الكلام؟ فمن كان بوسعه ان ينفذ؟

- كانت الدولة واقعة تحت سلطة العسكر ولم يكن باستطاعة السياسيين ان يفعلوا كل ما يريدون. سأروي لك بعض الحكايات.

في عام ١٩٣٦ اعدم بكر صدقي ٢٠ شيخاً من شيوخ الفرات وجيء بقرار الحكم الى الملك غازي رحمه الله، وطلبوا منه التوقيع عليه. فسأل الملك: ولماذا يعدم هؤلاء؟ ماذا فعلوا؟ أراد غازي التحقيق في الموضوع. فأجابوه بان عليه ان يوقع على القرار ولا يناقش أبداً لأنهم - أي الشيوخ - أعدموا فعلياً! فوقع غازي مجبرا ولم يكن عنده خيار آخر وتصور الناس ان الملك هو الذي اعدمهم، وهم لا يعرفون الحقيقة.

هكذا كان العسكر يتدخلون في السياسة ويفرضون رأيهم علينا لانهم يملكون القوة ولم يكن باستطاعة الدولة تجريدهم منها او الاستغناء عنهم.

سأعترف لك بأننا نتحمل مسؤولة نقصين كبيرين كانا في الدولة ايامنا لم نستطع سدهما، الاول: لم يكن لدينا جهاز استخبارات كفء او حتى عادي. ولم نعتن به. أتذكر انني في يوم محاكمتي امام المهداوي جيء بمرعي (يقصد العقيد أحمد مرعي) مسؤول الاستخبارات العسكرية ووضع امامي في قفص الاتهام. فسألته: أين كانت استخباراتك يا مرعي يوم الانقلاب؟ أجابني: أي استخبارات يا دكتور؟ لقد حل عبد الاله (الوصي على عرش العراق) هذا الجهاز قبل أشهر وأحالني الى وظيفة تشريفات في القصر!

اما النقص الثاني فهو: اننا لم نثقف الشعب العراقي كما يحب. وبصفتي مسؤولاً عن التعليم فأنا أتحمل جزءاً من مسؤولية تدهور التعليم في العراق. لقد اعتمدنا العلمانية في مناهج الدولة وكان هذا خطأ فادحاً، كان يفترض ان يكون التعليم اسلامياً فالعراقيون معظمهم من المسلمين.

عاصرت احد عشر وزيراً في وزارة المعارف كعبد الحسين الجلبي وابو المحاسن وسيد عبد المهدي المنتفكي وغيرهم. معظم الوزراء كانوا أميين يأتون الى الوزارة لا يعرفون شيئاً عنها ولا يعمرون فيها طويلاً، وما ان احاول اعطاءه لمحة او صورة عن التعليم في العراق ليضع مخططاته حتى يعزل الوزير من وزارته بحيث لا يعطى فرصة كافية لتنفيذ ما اتفقنا عليه.

هذان النقصان هما اللذان أوديا بحياة المملكة العراقية.

● وماذا عن ساطع الحصري؟

- لم يكن ساطع يعرف طبيعة المجتمع العراقي وكلف بوضع مناهج التعليم في العراق فدخل في مشاكل معي ومع وزراء ومسؤولين وشعراء ايضاً. ولعل قضيته مع (محمد مهدي) الجواهري واتهامه اياه بالشعوبية مشهورة. ولكن انقل لك قضية اخرى حصلت للجواهري وهو لا يعرف الى الآن اني وراءها.

كان الجواهري يعمل مصححا لغويا في وزارة المعارف. وفي احد الايام كتب قصيدة عن «طبع العشائر وعشائر الطبع» أثار عليه المسؤولين فصدر قرار بعزله من الوظيفة وشكل

مجلس انضباط يتكون من ستة أشخاص - في ما اتذكر - كنت أحد اعضائه بصفتي مديراً للمعارف وقتذاك - للنظر في قرار عزل الجواهري. فأرسلنا اليه وطلبنا منه قراءة القصيدة بحضورنا فقرأها وخرج.
سألت الحضور عن المعاني النقدية التي احتوتها القصيدة، وما هو رأيهم فيها. ثم قلت لهم ان كان ما قاله الجواهري صحيحاً وهو صحيح بلا شك. فعلام عزله من الوظيفة؟ فالرجل لم يقل إلا الحقيقة. وإن كان ما قاله خطأ. فهو شاعر، وورد في الآية «والشعراء يتبعهم الغاوون. ألم تر انهم في كل واد يهيمون. وأنهم يقولون ما لا يفعلون». وطالبت بالغاء القرار. وعاد الجواهري الى وظيفته واستلم جميع رواتبه المستحقة. وهو لا يعلم أنني وراء هذه القصة.
• ما رأيك في الكتابات التي تتهمك بخيانة العراق والعمالة للامريكيين؟
- هذه الكتابات ليست منصفة، غالباً كان كتابها يرجعون الى خصومي - خصوصاً السياسيين منهم - ويسألونهم عن أمور تخصني فيروي لهم هؤلاء أشياء وحكايات لم تحصل أبداً او انها حصلت فعلاً ولكن ليس كما يرويه الخصوم. ولو كان هؤلاء الكتاب يعودونني لذكرت لهم الحقيقة ولأجبتهم بمنتهى الصراحة عن كل ما يودون سؤالي عنه.
سأعطيك مثلاً: قامت الدنيا ولم تقعد على معاهدة بوتسموث بيننا (العراق) وبين بريطانيا، والامر نفسه مع سياسة الاحلاف والمواثيق، وأنا مستغرب لأنه حتى المؤرخين العراقيين لم يفهموها على حقيقتها لذلك ادعو الى اعادة دراسة تاريخ العراق من جديد بعيداً عن التشويه والتشويش.
• من هم خصومك السياسيون؟
- توفيق السويدي (رئيس وزراء العراق إبان العهد الملكي) مثلاً. كثيراً ما كانوا يرجعون اليه فكان يتقول عليّ أشياء كثيرة، وهو من المتحاملين عليّ.
لقد أفترى عليّ كثيراً وأنا رددت على الكثير من الافتراءات في كتبي.
• كيف كانت علاقتك بنوري السعيد؟
- كانت علاقة شخصين مختلفين في كل شيء، فنحن من مدرستين متباينتين في النشأة وممارسة الحكم. لنا عقليتان متمايزتان متنافرتان. حكم نوري السعيد العراق حكما بوليسيا. كان يريد إلغاء الاحزاب ومنع الصحف وحرية التعبير عن الرأي. عمل على انهاء الشيوعيين وابعادهم عن الحكم. أما أنا فخلافه تماما. وقد قارنت بين اسلوب حكمينا في أحد كتبي.
• وماذا كان كامل الجادرجي؟
- (يضحك) كان الجادرجي كثيراً ما يبحث في أصول الناس وأحسابهم وأنسابهم فكان يقول مثلاً: انظر الى هذا، انه هندي «مبين من شكله»!
• هل أنت سياسي أولاً أم معلم؟
- التربية والتعليم مجال تخصصي الاول اذ قضيت أكثر سنوات عمري في هذا المجال، وشهاداتي الجامعية في التربية وعلم النفس. كانت رسالتي للدكتوراه التي قدمتها الى

جامعة كولومبيا العام ١٩٣٢ عن «تعليم البدو» وهي لم تترجم الى اللغة العربية حتى الآن.
حين استلم بكر صدقي رئاسة الوزارة وصلني تهديد بالقتل جاءني به حكمت سليمان واخرج التهديد مكتوباً من جيبه، وسألني ماذا تريد ان افعل لك يا دكتور؟ قلت له أريد السفر الى تركيا. هيأ حكمت لي الطريق وسفرني الى تركيا. بقيت هناك فترة أبحث في مجال التعليم، فألفت كتاباً عن التعليم في تركيا الحديثة، نال اعجاب كثيرين واشترى منه الاتراك ٤٠٠ نسخة. وحين عدت الى العراق كان بكر صدقي انتهى مع حكومته.

• هل تعتقد انك حققت كل أمانيك وطموحاتك؟ وما هي انجازاتك؟

- كلا... كانت لي أمنيات كثيرة لم استطع تحقيقها. كنت أتمنى ان أرى الدول العربية موحدة وقد بدأنا بفكرة الوحدة مع سورية. وأنا صاحب فكرة «الاتحاد الهاشمي» بين مملكتي العراق والاردن وانا أول من استخدم مصطلح «الناصرية» بحق المرحوم جمال عبد الناصر. وكنت وراء ادخال الشبيبي وعبد الواحد آل سكر في مجلس الاعيان. وقد ساندت الدول الضعيفة والمستعمرة ودعمت مطالباتها في التحرر والاستقلال والتخلص من الاستعمار ولم أبخل بشيء. ان حب فلسطين يسري في دمي ولحمي. يجب ان تتحرر هذه الدولة ويعود أهلها اليها وتعود اسرائيل من حيث أتت.

لقد وقفت الى جانب الحق طوال حياتي، ولم أخش في الله والحق لومة لائم، ولهذا حين حكم علي المهداوي بالاعدام وقف الى جانبي مسؤولو دول العالم وطالبوا الحكم الجديد باطلاق سراحي رادين الجميل اليّ.

• مثل من؟

- جمال عبد الناصر وداغ همرشولد السكرتير العام للامم المتحدة وجواهر لال نهرو والملك محمدالخامس ملك المغرب.

• ولكن كيف أطلقت ومن له الفضل؟

- انه الملك محمد الخامس اذ زار في تلك الفترة دولاً عربية عدة ورفض زيارة العراق قائلاً لعبد الكريم قاسم إلا ان تطلق سراح الجمالي، فاعطاه قاسم وعداً بذلك فزار العراق في شهر رمضان وبقي اياماً في بغداد يلح على عبد الكريم لاطلاق سراحي حتى خفض الحكم بحقي الى عشر سنوات ولم يرض محمد الخامس رحمه الله حتى أطلق سراحي العام ١٩٦١م وبعد خروجي من العراق عرض عليّ ولده الحسن الثاني الاقامة في المغرب، لكني اخترت تونس.

• ولم تونس؟

- هكذا كان... لقد كرمني الحبيب بورقيبة ومنحني وساماً ودرجة المواطنة، واحترمني، وسمى شارعاً في تونس باسمي ومنحني بيتاً يدفع ايجاره من خزينة الدولة، وسيارة وسائقاً وسمح لي بممارسة مهنتي (التعليم) في تونس حتى كبرت فأحلت على التقاعد.

• كيف هي علاقتك بالرئيس زين العابدين بن علي؟ أعتقد أن باستطاعتك الحصول على

أذن الزيارة؟
- علاقة جيدة. وهو يحترمني كثيراً. ما من مناسبة الا ويدعوني اليها وحين ينزل من منصة الخطابة يمشي خطوات الى ويصافحني ويسلم عليّ ويسألني عن حالي، فيستغرب بعض من لا يعرفونني ويقولون من هذا الذي يذهب اليه الرئيس للسلام عليه!
● كم كان راتبك عندما كنت رئيساً للوزراء او وزيراً في العراق؟
- (يبتسم) كان راتب الوزير على عهدي ١٠٠ دينار عراقي وليس هناك اي مخصصات اضافية لسيارة او سائق وما الى ذلك. كان على الوزير ان يحضر سيارته الخاصة وسائقه معه الى الدوام او الاجتماعات، والحكومة ليست ملزمة بتغطية هذه المصاريف. اما راتب رئيس الوزراء فكان ٢٠٠ دينار.
وحين اصبحت رئيسا للوزراء، اقترحت مضاعفة راتب الوزير الى ٢٠٠ دينار على ان يُطبق هذا الاقتراح (القرار) بعد انتهاء حكومتي، كما الغيت مظاهر الحراسة وغيرها.
● أما زلت تستلم راتبك التقاعدي من السفارة العراقية في تونس؟
- (يتحسر) بعد مجيء البعثيين الى السلطة في ١٩٦٨ قطعوا راتبي التقاعدي، وهو حق لي ولأسرتي، اذ خدمت العراق وكنت موظفاً في الدولة العراقية، والدولة تقتطع جزءاً من الراتب لاغراض التقاعد. ومنذ ذلك التاريخ لم اسلتم درهماً واحداً من الدولة لا من السفارة العراقية ولا من غيرها.
الحكومة التونسية هي التي أجرت لي راتباً اعيش منه. لم أكن املك شيئاً يُذكر، كان لي بيت في بغداد صُودر مني وحين أسأل بعض الناس عنه اليوم يقولون انه تحول الى خربة يسكن فيها بعض البدو الذين لا اعرفهم.
حكم عليّ المهداوي بغرامة قدرها ٢٠٠ الف دينار. لم يكن عندي شيء، من هذا. انتم الذين اتهمتمونا اتهامات شتى. لماذا ثرتم علينا؟
● لم أتهمك انا، اتهمك خصومك الذين رأوا انك وغيرك من سياسي العهد الملكي ربطتم العراق بأحلاف ومواثيق استعمارية؟
- ابداً. لم يكن حلف بغداد حلفاً استعمارياً كما زعموا. كان حلفاً لمصلحة العراق. لمواجهة خطر الشيوعية الذي بدأ الزحف على بلداننا العربية والاسلامية. ان الشيوعيين يدعون الى الكيان البهيمي الاول وكان لا بد من مواجهتهم. هل تعلم ان عبد الناصر كان من الممكن ان يكون زعيماً لهذا الحلف وذلك لعلاقته بتركيا في ذلك الوقت؟ لقد اسمعته كلاماً لم يسمعه من أحد طوال حياته. نحن فعلنا كل ما في وسعنا من اجل العراق سواء من خلال المعاهدات او الاحلاف التي دخلنا فيها. يجب اعادة النظر في كل ما زعمتموه في السابق.
● هل تشعر ان هناك طائفية في العراق؟
- انها موجودة في العراق، ولكن ليس بشكل فاضح، وعلينا ازالتها من خلال التفاهم المشترك وليس عن طريق القوة، فحينما كنت في المعارف اعتمدت اسلوب المخصصات

وفتح المدارس وما الى ذلك على اساس النسب السكانية وليس على اسس اخرى كالنخبوية وغيرها مما كان يعتمد عليها غيري. وهذا الاساس هو الذي فتح الابواب امام الشيعة للحصول على نصيبهم في التعليم. كنت ولا زلت اشجع وأحث على التزاوج بين الشيعة والسنة للاختلاط واذابة الفوارق بينهما. أنا شيعي مثلاً ولكني مسجل في سجلات محاكم بغداد سني شافعي المذهب. هل تعلم لماذا؟

• بالطبع لا؟

- لانني حينما اردت الزواج من زوجتي الامريكية كان المرجع وقتذاك السيد أبو الحسن الاصفهاني (جد موسى الموسوي).

نعم كان جده افتى بالزواج من غير المسلمة زواج متعة (اي زواجاً موقتاً) فقلت للقاضي الجعفري السيد حسين كمال الدين اني لا اريدها زوجة مؤقتة انما انوي ان تكون زوجتي (وكانت مسيحية) مدى الحياة. فقال لي، لا يجوز ذلك لانها كتابية، على رأي السيد الاصفهاني.

وتعجبت من هذا الرأي فذهبت ابحث عن رأي آخر بين المذاهب الاسلامية يجيز لي الزواج الدائم. ووجدت الشافعية يقولون بذلك. ولهذا سجلت شافعياً.

• ما رأيك بحكم صدام حسين؟

- اعرف ان صدام قاس لا يرحم، ولو كان بدلاً من عبد الكريم قاسم لأعدمني فوراً في ١٩٥٨. أول مرة سمعت باسمه عندما تعرضت مجموعة من البعثيين لمحاولة اغتيال قاسم كان هو احدهم. يومها راودني احتمال اعدامي، فسارعت الى ارسال برقية الى عبد الكريم اهنئه فيها على سلامته من محاولة الاعتداء (يضحك ثم يمتعض). الذين انقلبوا علينا في ١٩٥٨ قتل بعضهم بعضاً، وشاء الله ان اعيش بعدهم الى اليوم. تصور حينما سأل جمال عبد الناصر عبد السلام عارف عني. اجابه عارف: ان ثمن رأس الجمالي لا يكلفني سوى عشرين فلساً. فاستغرب عبد الناصر هذا الجواب.

• من نقل لك هذه الرواية يا دكتور؟ لقد ذكرتها في كتاباتك لكنك لم تذكر المصدر؟

- نقلها لي احد اعضاء الوفد العراقي الذي حضر ذلك اللقاء.

• من هو؟

- (يفكر قليلاً) انه فائق السامرائي؛ ولهذا الرجل حكايات كثيرة معي.

• ما هو هدف زيارتك هذه الى لندن؟

- أنا ازور لندن بشكل مستمر ومنذ سنين طويلة. ولدي الكبير (ليث) مريض وهو يعالج في اسكتلندة آتي للاطمئنان عليه.

هذه المرة جئت بكتبي لاطبعها من جديد، كنت طبعتها في تونس وبقيت محدودة التداول والانتشار مقتصرة على تونس ودول شمال افريقيا. ونظراً لاهميتها واهمية ما ورد فيها (الكتب) من مواضيع وذكريات وحوادث اتمنى ان يطلع عليها اكبر عدد من القراء والمثقفين والسياسيين. لذا فاني ابحث عن ناشر ولم يحصل اي اتفاق لحد الآن مع اي

واحد منهم. انني أتمنى ان ارى كتبي في لندن قبل ان اموت.

• بعد هذه التجربة الطويلة ماذا تقول للعراقيين؟

- اقول لهم توحدوا واتفقوا على كلمة واحدة طيبوا نفوسكم وارتفعوا بها فوق الضغائن والاحقاد. ان بلدكم ينتظركم. افعلوا كل ما من شانه ان يخدم بلدكم. قولوا قولة الحق ولا تخشون من احد. «ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم».

• هل تتمنى عودة الملكية الى العراق؟

- هذا خيار العراقيين اذا اتفقوا حققوا كل ما يريدونه. لا تنسى انني ملكي الولاء.

• أتتمنى زيارة بغداد؟

- يطرق قليلاً يحرك رأسه يسحب نفساً عميقاً ويجيب (بصوت متحشرج) نعم... ولكن ليس تحت ظرف الحصار، انني لا أريد أن أرى الناس بهذه الحال جوعى، لا غذاء، لا دواء.

• هل تعني انك ستزورها بعد زوال الكابوس؟

- نعم... (يضحك) ولكن يومها سأكون قد مت!

محمد فاضل الجمالي: المعلم. الاستاذ ورجل الدولة:
قومي ديمقراطي وخبير في السياسة الخارجية ومدير لنهضة تعليمية عراقية
فيصل الدملوجي
صحيفة «القدس العربي» - لندن - ٩ / ٩ / ١٩٩٧

غيب الثرى شهر ايار (مايو) الماضي وجها عربيا اسلاميا كريما شارك بجد واخلاص صادقين في بناء وتشييد أمة ومجتمع عربي حديث وعميق الجذور في أصوله وقواعده التي ساهمت في البنيان الحضاري عندما خرجت الى عالمنا هذا قبل أربعة عشر قرنا.

كان المرحوم الدكتور الجمالي معلما ورجل دولة نادر المثال في عالمنا العربي المعاصر اتصف طوال سنوات عمره بصفات وشمائل قل أن تجد لها مثلا بين اهل السياسة والعلم.

عاش بقناعة ورضا تامين على راتب تقاعده البسيط الذي استحقه بعد سنوات طوال في التعليم في جامعة تونس، وكان اذا قدم الى لندن او ذهب الى سويسرا في صيف كل عام لا يقطن الا في مناطق سياحية متواضعة، تتناسب ودخله الشهري الضئيل وكان يقوم على خدمة أهله وضيوفه بنفسه. كنت أداعبه بالقول «انت صوفي الساسة العرب» فكان يقابل ذلك بضحكته العالية القصيرة مبتسما راضيا بهذا اللقب على ما اعتقد. رحم الله محمد فاضل الجمالي.

قابلته أول مرة عندما كان يحمل مسؤولية الجهاز الثقافي التعليمي في العراق سنة ١٩٣٨ وكان قبل ذلك قد شرع بثورة تعليمية كاسحة شملت شمال العراق وجنوبه وساقت أمامها الالوف من الاطفال والصبيان الى المدارس على مختلف درجاتها وفي تلك السنة وما قبلها في وسط حملة اخرى واسعة لارسال البعثات من خريجي الثانويات العراقية الى خارج العراق للدول الاوروبية والولايات المتحدة لغرض التعلم والاختصاص والتزود بما لدى الغرب من

تقدم علمي وتطور ثقافي، ليصبحوا النسيج القادم للنهضة العلمية التي أرادها لبلده، فكان له الفضل الاسبق في تطوير وزيادة ما سبق وان أسسه بصلابة واعتناء المرحوم العلامة ساطع الحصري عندما تولى شؤون التعليم في فترة حكم المرحوم فيصل الاول.

واتبع المرحوم الدكتور الجمالي منهجا وأسلوبا واضحا وكان التوفيق بين ما يتطلب العصر من ادراك وتفهم للنهضة الغربية وتراث الامة وقيمها الروحية والرسالات السماوية التي انبعثت في وسطها غاية ما يصبو الى تحقيقه.

ولا ريب عندي ان ما اتصفت به تلك النخبة المتعلمة والحاكمة في ذلك الظرف من تاريخ العراق كان لها الفضل في دفع تلك التجارب والمحاولات الى جادة النجاح وما اثمرته بعد ذلك من ايصال البلد الى المستوى الثقافي والعلمي في الجزء الاخير من هذا القرن.

كان المرحوم الجمالي جريئا في عمله يتحمل بصبر وطول بال النقد والاعتراض ويحاور دون انقطاع للوصول الى الهدف ليصحح المطلوب. ولم يثنه ذلك عن الدستور الذي اختطه لنفسه في سياساته التعليمية: زيادة المدارس على مختلف اختصاصها وتهيئة الكوارد التعليمية اللازمة لها وشملوها بالتدريج المدن الصغرى بعد الكبرى ومن ثم القرى والارياف وزيادة عدد البعثات الى الخارج من الشباب المتخرجين واعادة ارسال من تفوق لتحقيق الاختصاصات المختلفة، حتى ان أحد الظرفاء علق قائلا «ان البعثات العلمية العراقية في الجامعات تزيد عددا على المصطافين في الدول الغربية من العراقيين».

كان حشد المواهب يأخذ مجراه للاعداد لانشاء الجامعات في العراق ابتداء بجامعة بغداد والتي لحقت بها جامعات متعددة أخرى في انحاء القطر.

من المفيد ان نشير الى الميزانيات العراقية السنوية وملاحظة ارتفاع حصة وزارة المعارف منذ تشكيل الحكم العراقي سنة ١٩٢١ وكيف انها اقتطعت لنفسها (وزارةالمعارف) حيزا متصاعدا كان ينفق على تشييد المدارس وبناء المعاهد وشراء اللوازم المدرسية، حيث ان التعليم في كافة مراحله كان مجانيا ومفتوحا لكل مواطن ومواطنة دون تمييز وكان ذلك في وقت قلت فيه الموارد العامة للدولة وقبل ان تتدفق عليها الثروة النفطية في بداية الخمسينات في هذا القرن.

ولتأمين نجاح الزيادةفي المدارس والكليات فقد عمدت السياسة التعليمية المتبعة على اعداد العدد اللازم والمطلوب في مختلف صفوف المدرسين فكان عدد المنخرطين في السلك التعليمي في ازدياد ونمو متواصلين بل استعان المرحوم الجمالي بباقة كبيرة من الشباب العربي المتعلم في مصر وسورية وفلسطين ولبنان للمساهمة في بناء خطته المستقبلية وقل اليوم ان تجد مخضرما متعلما عربيا من لم يشارك بشكل او آخر في التعليم من ناحية من نواحي او اطراف العراق.

بالطبع هيأت تلك الخطط وعلى مر السنوات بعد الحرب العالمية الثانية امكانية ان تتولى السلطات التعليمية في القطر وبنجاح محاولة محو الامية والقضاء عليها، بالاضافة الى تطبيق التعليم الالزامي على يد الحكومات التي أعقبت سنة ١٩٥٨ والتغيير الذي حدث.

وكان العمل الهادئ الدؤوب هو الذي مهد لقيام جامعة بغداد بعد ان ضمت في جوانبها المتعددة الكليات المختلفة باختصاصاتها العلمية والادبية ابتداء من كلية طب بغداد وانتهاء بكلية الآداب.

وكان نهج المرحوم الدكتور الجمالي منهجا قوميا عربيا واضح المعالم والسيرة طبع به كافة المؤسسات التعليمية وسارت على طريقه حتى بعد تخليه عن ادارتها والنظر في شؤونها.

كان النهج هذا يقوم على قاعدة وحدة الامة العربية موحدة المصير من أقصى الغرب الشمالي الافريقي حتى الخليج العربي ودون ان يكون ذلك على حساب الثروة والطاقة الروحية الهائلة التي ورثها العالم العربي والكامنة في التعليم والرسالات السماوية.

ولعل من المنجزات الهامة ايضا التي عمل لها المرحوم الدكتور الجمالي بالتخطيط الهادئ ودون ضجة سعيه التخلص ببطء من المدارس والمؤسسات التبشرية المختلفة في القطر والقضاء بذلك على ما كانت تبعث في تلاميذها من ولاء وميول تتناقض وبناء الشخصية الجديدة للمواطن العراقي والعربي. ولتحقيق ذلك فقد فتحت الدولة ابوابها لكافة ابناء الامة على مختلف مستوياتهم الاقتصادية والاجتماعية ودون تمييز. وبالقضاء على حالة الازدواجية في شخصية الطالب الناشئ تجنب البلد ما ابتليت به بعض البلدان العربية على حوض البحر الابيض المتوسط والتي تقاعست عن معالجة هذه المشكلة الخطرة منذ ان آل أمرها الى أصحابها الوطنيين.

ما قدمه المرحوم الدكتور الجمالي واعوانه الذين عملوا معه كان بناء وتشييد الاسس والقواعد أولا والعمل ثانيا على القيام بنهضة تعليمية شاملة كان مظهرها واضحا في الستينات والسبعينات في هذا القرن عندما أصبحت الجامعات العراقية المتعددة مهداً القيام لأبناء الدول العربية الخليجية والاردن بالتخرج منها ليصبحوا بدورهم البنية الاساسية لنهضة بلادهم.

وحملت الحرب العالمية الثانية في طياتها ما حملت من تطورات في العراق وكان أحدها انتقال المرحوم الدكتور الجمالي من التعليم الى وزارة الخارجية ليمارس عملا جديدا لم يسبق له ان قام بمثله.

ولكنه حمل معه الى وزارة الخارجية نفس الروح الوثابة والجرأة الادبية القائمة على المنطق والتحليل الفكري. وبدأ بذلك مدرسة جديدة في السياسة الخارجية للعراق والممارسة الدبلوماسية لموظفي السلك الخارجي. وعلى الرغم من ان ذلك اثار حفيظة بعض المحافظين من رجال الدبلوماسية ألا انه لم يثنه عن شق هذا المجرى الجديد والذي أجرى دماء جديدة في شرايين الخدمة الخارجية ظهر اثرها عندما شارفت الحرب على نهايتها المحتومة وأصبح الجمالي الصوت العربي في سان فرنسيسكو حين بدأت الولادة العسيرة للأمم المتحدة وكان الجمالي فيها يحمل هموم ومتاعب الكيانات العربية المختلفة الرازحة تحت الاستعمار الغربي فكان وزملاؤه القليلون من الدول العربية الممثلة في المؤتمر الصوت الرائد في تحرير شمال افريقيا والذود عن حقوق العرب في فلسطين.

أذكر اني صحبته الى مؤتمرات اقليمية ودولية وكنت موظفا تابعا للسلك الدبلوماسي

حينئذ فكان الرئيس الذي لا يمل العمل ليل نهار لا يعرف للراحة طعما تقصده الوفود ورجال الحركات التحررية العربية ليكون الناطق المناضل عن حقوقها وحق شعوبها العربية في الاستقلال والحرية فكان يضطلع بذلك الدور بصدر رحب ونفس طيبة يرى في ذلك العمل الجزء الأهم في سياسة العراق الخارجية. وقد استغل شغفه المعروف بمبادئ الثورة الامريكية التي قامت ضد الحكم البريطاني ليجعل من ذلك سلاحا يتصدى به للولايات المتحدة الامريكية في الامم المتحدة والهيئات الدولية الاخرى، وكانت يومذاك قوة ناشئة وجديدة وغير ما نعهده فيها اليوم من خلافة التسلط والاستعمار وما نالته سياسته تلك من توفيق لا تزال اثارة قائمة في ذاكرة شمال افريقيا العربي وفلسطين وبين المناضلين القدامى في تلك المناطق.

وقد تملكت القومية العربية وصيغها المتعددة لجمع دولها تحت مظلة واسعة وواحدة قلب المرحوم الجمالي فجعل منها المنبر الذي وقف عليه مخططا وداعيا أينما حل او رحل وما أكثر رحلاته حينئذ والتي بدأت كوكيل لوزارة الخارجية ومتقلبا على كرسي تلك الوزارة المرة تلو الاخرى. وقد جعلت منه تلك التجارب والعقبات الخبير الاول في السياسة الخارجية في العراق تلجأ اليه القوى المتعددة في الحكم ليمثل البلد في الندوات والمؤتمرات العالمية سواء كان عضوا وزاريا او نائبا مستقلا في المجلس النيابي. فكان مثلا نائب بغداد في المجلس وكنت نائب لواء الموصل عندما ترأس الوفد الى مؤتمر باندونغ وكنت عضوا في ذلك الوفد وكان كعادته دائم الحركة والسعي لاسماع الموقف العراقي وتأييد مكاسب القومية العربية على يد المرحوم جمال عبد الناصر وتجميع أصوات العالم الثالث لتكون قوة جديدة على المسرح الدولي. والواقع ان دول عدم الانحياز لا تزال حتى يومنا هذا قوة يحسب لها مكانتها في النادي العالمي «الأمم المتحدة» رغم كل ما تبذله الولايات المتحدة الامريكية من جهود للاستئثار بالقرار بعد اختفاء الاتحاد السوفييتي.

ولعل جهود المرحوم الجمالي على الصعيد الاقليمي كانت أكثر خصوبة وانتاجا. فقد اتبع - كما سبق وأشرنا - سياسة توحيد الموقف العربي ابتداء من الجامعة العربية وانتهاء بالامم المتحدة للوقوف صفا واحدا متضامنا في وجه الصهيونية العالمية وفي اغتصابها لفلسطين وتشريد أهلها واحتلال أراضيهم واملاكهم. وكان ذلك التضامن سدا غير هين في وجه التوسع والنفوذ الصهيوني حينئذ في اوروبا وامريكا وهو ما يفتقر اليه العرب اليوم وقد تفتت كلمتهم وأصبحت جامعتهم العربية أقرب الى العدم منها الى الحياة وحكامهم أكثر سمعا لما تمليه واشنطن من نصائح وتهديدات باطنة وظاهرة وتأييدا سافرا لآثام الصهيونية اليومية في فلسطين.

كان المرحوم الجمالي على رأس الدبلوماسية العراقية في الخمسينات في هذا القرن والتي تبنت خط تأييد الديمقراطية الغربية والوقوف بوجه التوسع الشيوعي في الشرق الاوسط فكان لذلك انخط اثر لا يستهان به في التأثير على المواقف الغربية وتعديل - الى حد ما - الميزان الغربي المائل لصالح الصهيونية ومناهضة القومية العربية. ولا شك ان التيار القومي العربي الممثل حينئذ بالحيوية الجديدة والعنفوان الجامح الذي ظهر به المرحوم جمال عبد

الناصر وحمل معه العرب في كل مكان لعب دورا كبيرا في تقليص نتائج السياسة العراقية تلك.

وبدل ان يتعاون التياران للعمل في الشرق والغرب على كسب التأييد للحقوق العربية المشروعة. اذ من الواضح اليوم ان الطرفين المختلفين في السياسة العربية كانا يقصدان خدمة الأمة أولا وأخيرا فان اختلافهما كان الاساس في محنة اليوم وما تحمله من فشل الحكام العرب في الوقوف صفا صلبا أمام التحديات الواضحة من الصهيونية وواشنطن وبالصورة الماثلة أمام أعيننا. وكما هو معروف لمن تابع ما كتبه المرحوم الجمالي في السنين الاخيرة عن سياسة واشنطن وتحيزها البشع لجميع جرائم السياسة الصهيونية في الارض المحتلة لا بد وان يعلم عمق المرارة التي عبر عنها في خطاباته ومقالاته من التهور الامريكي الواضح وابتعاد واشنطن عن المبادئ والأسس التي اثارت اعجابه وتقديره في السنوات الماضية من عمله الثقافي والسياسي.

تحمل المرحوم الجمالي الكثير من النقد لتأييده ذلك النهج في العمل القومي والسياسي وسواء كان ذلك النقد صادرا من الاوساط القومية التي كانت تؤمن بالتعاون المطلق مع الدول الاشتراكية للوقوف في وجه العنفوان الصهيوني وما تبقى من نفوذ غربي في المنطقة أم من اليسار العربي المتشدد في تعاونه مع الاتحاد السوفييتي فان ذلك لم يمنع الدكتور الجمالي من مواصلة الجهد والعمل على حشد ما يمكن حشده من أطراف عربية للظهور بالصف الواحد المشترك على المسرح العالمي واستغلال هيئة الامم كسلاح خلقي وعنصر هام في وجه السياسة الغربية وما حققته تلك السياسة اخيرا من الغاء الاستعمار في معظم انحاء المعمورة.

ما جرى في العراق سنة ١٩٥٨ وضع نهاية لتلك السياسة العراقية وكذلك للعمل الرسمي للمرحوم الدكتور الجمالي الا اننا نجده وبعد فترة من الزمن يستأنف دوره التعليمي ويبدأ بالكتابة ونشر آرائه وامانيه في مختلف الدوائر الصحافية منها ودور النشر ذات الاختصاص وكان يودع رسائله البريد بين الفترة القصيرة والاخرى موجهة الى الصحف العربية المعروفة وان كانت «القدس العربي» هي المفضلة عنده اذ كثيرا ما كان يشير اليها ضاحكا «انها الوحيدة التي لا تشم منها رائحة النفط». ومن تتبع تلك الرسائل يعلم انها كانت المرآة الصادقة لشعوره وقناعته وما آل اليه من يقين بضرورة التوافق بين النهج الاسلامي القويم والقومية العربية. وذلك موقف يشاركه فيه ـ على ما اعتقد ـ القسم الاكبر من عالمنا العربي.

رحم الله محمد فاضل الجمالي فقد أعطى قومه كل ما يملك.

كاتب من العراق يقيم في لندن

الجمالي الأول والاخير
خالد القشطيني
اقوال الاسبوع - «الشرق الاوسط» - لندن ٢٧/٥/١٩٩٧

شعرت بكثير من الاسى وانا اقرأ نبأ وفاة الدكتور محمد فاضل الجمالي رحمه الله. انه شخصية كرهها عراقيون واحبها عراقيون، ومن احبوه عادوا فكرهوه ومن كرهوه عادوا فأحبوه. بدأ حياته كداع من دعاة القومية العربية، ثم انجرف وراء المدرسة الغربية، او بالاحرى الموالية للغرب، فأوقعه ذلك في غضب السلطة الثورية التي تسلمت الحكم بعد ثورة تموز ١٩٥٨. القت القبض عليه بتهمة الخيانة وساقته الى محكمة الشعب، ولكن افرج عنه فرحل الى تونس واتخذها وطنه الثاني. وللخيار تفسيره فهو من مدرسة بورقيبة، مدرسة خذ وطالب، مدرسة التحرك ضمن حدود ما يمكن.

ولكنه انعطف بعد غزو الكويت فدخل ميدان ما لا يمكن بتأييده للنظام العراقي. بيد انه كان في هذا النهج منسجماً مع طروحات النظام الذي خدمه من قبل، نظام الحكم الملكي ومدرسة نوري السعيد التي تطلعت الى الوحدة الطوعية اللاعنفية بين العراق والكويت. جره ذلك في مقالاته الاخيرة الى التعاطف مع النظام العراقي الحالي بصورة مباشرة او غير مباشرة. عاد من كرهوه فأحبوه وعاد من أحبوه فكرهوه.

يعتبر محمد فاضل الجمالي أول خريج عراقي يحصل على شهادة الدكتوراه. انه من اوائل ابناء الشيعة الذين حرص النظام الملكي في باكورة حكمه على تبنيهم وتأهيلهم جامعيا ليمكنهم المشاركة في الادارة وموازنة النظام بين الطوائف المختلفة. عاد من امريكا فقدموه الى نوري السعيد بلقب الدكتور، فهز نوري السعيد رأسه ممتعضاً وقال: «هذا؟ ارسلناه ليدرس التربية وقلب الموضوع وصار طبيباً!». لم يخطر له ان من الممكن لانسان ان يكون دكتوراً في التربية او القانون او الادب او أي شيء. الواقع ان الجمالي حصل على دكتوراه في التربية من امريكا، وأهله ذلك لتولي ادارة وزارة المعارف.

ليس ذلك فقط. ولكن دراسته في الولايات المتحدة اثرت على تفكيره السياسي في التحوّل الى المعسكر الغربي والتحالف مع الغرب وتبني النهج الديمقراطي، والسعي لاحلال الخريجين والمتعلمين محل المخضرمين التقليديين من مخلفات الحكم العثماني. فضلاً عن ذلك تأثر ايضاً بروح الفكاهة الانكلوسكسونية، التي تدفقت من لسانه وقلمه في مواقف شتى، ولا سيما امام الجمعية العامة للامم المتحدة اثناء تمثيله للعراق.

ذكرت الانباء، انه دفن في تونس بناء على وصيته. قرأت ذلك فاستغربت. فاذا كان هناك شيء ظل عالقاً بفكر الجمالي وعواطفه فهو حبه للعراق وولاؤه له في اطار تفكيره الغربي. ولكن من يدري فلربما تصور الراحل ان تصدير جثمانه الى بغداد سيتطلب قراراً من الامم المتحدة بموجب نظام العقوبات المفروضة على العراق والتي ناضل الجمالي من اجل الغائها. وعلى كل، فالجمالي وهو يدون وصيته في دفنه في تونس، ربما أنشد البيتين اللذين عاش في اطارهما:

بلاد العرب اوطاني

من الشام لبغدان
ومن نجد الى يمن
الى مصر فتطوان

(الخبير القانوني سامي الفلاحي في تأبين الجمالي) الشرق الأوسط – لندن ٢٨/٥/١٩٩٧
« وصلت بغداد بعد ثورة ١٤ تموز مباشرة ورأيت على التلفزيون جنديا يلطم الدكتور فاضل الجمالي على وجهه. التفت الى والدتي وقلت لها، (يمه، هذي ثورة فاشلة) ركبت الطائرة في اليوم التالي وغادرت العراق».

الجمالي... عاش بالطول والعرض
الشاذلي زوكار
«الحرية» الملحق الثقافي - تونس - ٢٩ مايو ١٩٩٧

هو القدر وحده أوقف نبضات هذا القلب، المتدفق حيوية ونشاطا... وهو الاجل المحتوم حضر في اللحظة التي ارادها القدير لتنطفئ هذه الشعلة المتوهجة، رغم ان اضاءتها ستبقى متوهجة في وجداننا، منتشرة في عقولنا، كالقناديل التي لا ينضب زيتها، ولا يحترق فتيلها، لأن صاحبها زودها بطاقة جبارة، تتوالد نورا، وتتأجج حرارة، وتنبض حياة.

ان هذا الرجل النادر أقام الدليل على ان الانسان يمكن له ان يتحدى الشيخوخة بكل مفاهيمها، وان يعطي مقاييس جديدة خارجة عن المألوف، للشبيبة التي هي خلاصة الحياة، بما فيها من توقد وبهجة ومسرة.. الى ان اصبح مثالا يتمنى كل فرد يسير على خطاه، وان يحتذ به ما امكن الاحتذاء.

انه لولا العوامل التي احاطت بصحته فعكرتها، ولولا عدم اكتراثه - كعادته - بالعواقب المترتبة عن اهماله رعاية نفسه لامتدت حياته الى ما شاء الله.. فهو رجل يعتد بروحه الشابة، وبعقله الحي، وبفكره المتطور، وبمواجهته للصعاب، وبمغامراته التي رافقته طيلة حياته.. حتى انه عندما ضاقت انفاسه؛ انتصب واقفا مؤكداً - لمن حوله بانه يريد ان يواجه الموت واقفا.. لا ضائعا مقهورا مهزوما.

وفي اواخر (جوان) ١٩٩٦، دعوناه باسم النادي الثقافي (علي البلهوان) كي يتكلم عن صديقه الزعيم على البلهوان، نصحه طبيبه بملازمة البيت، خوفا على صحته من التدهور، لكنه اصر على الحضور، مخالفاً نصيحة الطبيب، وقد تكلم باسلوبه الرصين وحماسه المتقد، راويا لنا دقائق احداث ربطته بالمرحوم علي البلهوان،وكأنها وقعت بالامس القريب.. انها ذاكرة حية زخرت بالصور والالوان والوقائع،رتبها صاحبها باسلوب متميز، جعلها سهلة التناول، دون ان تفقد بريقها رغم مرور الايام.. وفي هذه المناسبة عندما تحدثت عن الدكتور محمد فاضل الجمالي، وتعرضت لتحدياته وحربه ضد الشيخوخة

والمرض.. واعتباره المثال الحي لشباب الشيوخ، انشدت قول احمد الصافي النجفي:
سنّي بروحي لا بعدّ سنين
فلأهز أنّ غدا من التسعين
العمر للتسعين يصعد راكضا
والروح ثابتة على العشرين
ولكن الدكتور الجمالي كان اكثر قناعة من احمد الصافي النجفي فعارضه قوله (والروح ثابتة على الستين).
لقد التقيت الدكتورالجمالي آخر مرة مساء يوم الخميس ١٥ (مايو) ١٩٩٧ بدار الثقافة (ابن خلدون)، واستمعنا معا للشاعر الدبلوماسي حيدر محمود سفير الاردن، وللشاعرة جميلة الهاجري في نطاق امسية نظمها مركز جامعة الدول العربية، وكان قد عاتبني بشدة لانني لم ازره منذ فترة، ولكنني يوم اعتزمت زيارته دخل المستشفى، وبقي فيه بغرفة الانعاش حتى النهاية.. فبكيته كأعز وأنبل رجل عرفته.
عرفته منذ اتخذ من تونس وطنا له، واصبحت اتردد عليه واغترف من علمه الغزير ما امكن، واستنير بافكاره، وتحليلاته التي يسلط عليها اضواء مستمدة من تجاربه السياسية المتميزة، وكان يهديني كل كتاب يؤلفه مع رغبته في الملاحظات بعد المطالعة، وآخر كتاب اهداه الي كان عنوانه «دفاعا عن العربية» وقدم له الاستاذ الشاذلي القليبي الذي قال «ومما يجدر الاشادة به في هذا الكتاب ان الاستاذ فاضل الجمالي يطرح آراءه بفكر متفتح للنقاش، وعقل نير، ومزاج كريم، في غير تشنج ولا تزمت، وهو في كل ذلك ينطلق من محبته للعربية، واعتزازه بالعروبة، وايمانه بان الاسلام عروة وثقى بين العرب وسائر المسلمين في العالم» فالكتاب زاخر بالآراء الهامة حول اللغة العربية، ومقوماتها، وما يحيط بها من اتهامات وادعاءات، وعلاقتها بالعامية، وقضية التعريب وما يتبعها من اشكاليات.
ومن خصال الجمالي انه كان يتابع ويتتبع كل فكرة تذاع، او مقالة تكتب، او كتاب يصدر في المشرق او المغرب، بل في كل العالم، ولا يتردد بان يمسك قلمه ملاحظا او معاتبا او معلقا، ولن انسى رسالته المؤرخة في ٩/٩/١٩٨٣ وقد كتبها لي من (زوريخ) بسويسرا معلقا على ما نشرته في مقالي اليومي «تأملات» (بجريدة العمل) تحت عنوان «مناقير الطيور ذوبت جبلا شاهقا في الصين» وابدى لي بعض ملاحظاته الرشيقة.
والحديث عن فاضل الجمالي يطول ويطول.. فهو رجل ملأ عالمنا باجمل المثل، واروع الحديث، واوقع الآراء، وانبل الخصال.
فلقد عاش بيننا بالطول والعرض.. رحمه الله وبرد ثراه.

بعد رحيل الدكتور فاضل الجمالي:
سلام عليك.. أيها الراحل الفاضل
د. الشاذلي الفتيوري
«الصباح» ـ تونس ـ ٢٨ مايو ١٩٩٧

سلام عليك ايها الراحل الفاضل سلام.. سلام عليك الى الدوام.. لقد عشت فينا مناضلا من اجل الحق والعدل مجاهدا في سبيل الكرامة مدفوعا بما اتاك المولى من صادق الايمان ورباط الجأش الى تقمص كل قضية عادلة سواء كان ذلك في مجال السياسة او العلم او التربية والاخلاق.

اجتباك ربك فنى مغوارا لامتك فما برحت منذ ريعان شبابك الى ان استجبت الى داعي خالقك تناضل وتكابد وتصابر من اجل ما كنت ترتئيه لامتك من عزة ومناعة في كل المجالات.

سلام عليك ايها الراحل الفاضل وقد عرفتك منذ اكثر من ثلاثين سنة وما برحت الى ان رحلت عنا اجد الى جانبك المودة الخالصة وعطف الاب الحنون وحصافة الفكراليقض الذي لا تفوته كبيرة ولا صغيرة مما له علاقة بقضايا الامة العربية على العموم وبقضايا التربية على الخصوص.

لقد تعاونا على ارساء قواعد علوم التربية في كلية الآداب في منتصف الستينات وقد كان فضلك على هذا القسم كبيرا في مجالات فلسفة التربية وعلم النفس التربوي وجملة من المواد الاخرى التي اقدمنا على تدريسها باللغة العربية وللمرة الاولى. وقد زادنا ذلك ايمانا بنجاعة لغتنا وبأصالتنا اللغوية والثقافية وكنت بذلك تواصل ما دربت عليه من كفاح مستميت منذ ريعان شبابك في سبيل اللغة العربية والهوية العربية وها هو كتابك الاخير الذي جاء بعنوان «دفاعا عن اللغة العربية» يدل على ما تلجلج في صدرك من غيرة على لغة الضاد ويهبنا وصيتك الاخيرة في قولك: «يندر ان يفكر الواحد منا بأن الكلمة يمكن ان تصبح سلاحا ماضيا يدافع به عن الحق. ذلك اذا كان من يستعمل الكلمة من اهل الايمان والحق وحب الخير كما انها (اي الكلمة) يمكن ان تصبح سلاحا يستعمل في سبيل الغزو والعداوة فيما اذا استعملها اهل الظلال والظلم والشر.. فكم من كلمة طيبة كالحرية والديمقراطية وحق تقرير المصير ومبادئ اعلان حقوق الانسان استعملت للتضليل وخداع الرأي العام اينما مارس دعاة هذه الكلمات سياسة الاستيلاء بالقوة ومصادرة الحريات واهدار حقوق الانسان» (دفاعا عن اللغة العربية مطبعة كوتيب الشرقية تونس ١٩٩٦).

سلام عليك ايها الراحل الفاضل، سلام عليك في رحلتك من دار الفناء الى دار الخلود والبقاء. لقد حباك ربك بحرارة الايمان وغمر قلبك بنور القرآن وابقاك بعد موتك حيا في القلوب والاذهان. سلام عليك.

مرثية في الراحل العظيم فاضل الجمالي
دكتور سليمان المنذري

آه ابا العباس كم احزنني فراقك.. لقد رحلت قبل أن يتحقق موعدنا بلقاء. كتبت اليك في الربيع الماضي اخبرك عن شوقي اليك وتطلعي لرؤياك هذه الصائفة وكتبت لي مرحبا وداعيا الله ان يبقيك حيا حتى نلتقي في تموز. وشاءت الاقدار الا أراك فرحلت عن دنيانا الفانية، ولعلك كنت تشعر بدنوّ أجلك فكتبت لي في رسالتك الاخيرة تشكو من «انحدار صحي تدريجي.. سمع ثقيل، بصر ضعيف، جسم نحيف» وانت تستشهد ببيت للشاعر الصافي النجفي:

العمر في التسعين يصعد راكضا
والروح ثابتة على العشرين

وأعدت كتابة البيت قائلا:

الجسم في التسعين ينزل هابطا
والروح ثابتة على الستين

ثم رحلت في الرابع والعشرين من آيار الى جوار ربك، فلن ازور بعد اليوم في تونس غير قبرك، فنم قرير العين في مثواك الاخير بضاحية المرسى جوار مرتفعات قمرت التي احببتها. غابة (قمرت) وعصافيرها الجميلة تفتقدك انها تغرد باكية على فراق صديق احبها واحبته وأنت تراقبها كل يوم وهي تشتف سمعك بصوتها الملائكي.. حتى كلاب تلك الضاحية لم تعد تحييك نابحة كعادتها كلما رأتك قبل الغروب، وتظل كذلك حتى تختفي عن انظارها وما أجمل مزاحك وأنت تقول الا تسمع هذه السمفونية الكلابية وانت تستثيرها بعصاك لتزداد نباحا.

أبا العباس: رسائلك الحميمة وقد عدت اليها اتصفحها ويطل عليّ وجهك الباسم بين سطورها واشعر أن روحك الطاهرة ترفرف من عليائها، وكم كنت اصيلا لا تنسى مسقط رأسك وأنت تخاطبني «أخي الفاضل وابن ولايتي العزيز» أي بلدياتي بلغة أهل مصر حتى في اهدائك لي لآخر كتاب صدر لك «فلتشرق الشمس على الامة العربية من جديد» لم تنس هذه العبارة المحببة الى نفسك وانت تقولها باعتزاز وقد تحررت منذ أمد بعيد من الاقليمية الضيقة والجهوية والطائفية البغيضة.. ولكنك لم تنس ابدا دار الشيخ عباس الجمالي والدك رحمه الله وبستانه على دجلة ونخلته المفضلة «دقلة الشيخ عباس» وقد اتى تيار دجلة الدافق على البستان فجرفها ولم تعد غير ذكرى. وكيف تنسى مدرسة الامام الخالصي وهي اول مدرسة في الكاظمية تعلمت فيها العربية وآدابها والفقه وعلوم الدين وذكرياتك عنها وعن استاذك المجاهد الشيخ محمد الخالصي ودورك في عودته لوطنه من منفاه الذي استمر زهاء الثلاثين عاما بايران وتلك قصةاخرى تحكى وفاء التلميذ لاستاذه.

إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهمُ
عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

قراءة لفكر فاضل الجمالي تلخص ايمانه بفلسفة الانسان في الحياة وهي الايمان بالله والالتزام بالعمل الصالح والتمسك بالحقيقة والتذرع بالصبر وذلك تحديدا هو محتوى سورة العصر في القرآن الكريم.

اما ايمانه بعروبته فلم يتزعزع رغم الاحباط والنكسات التي تواجهها الأمة.. قال في احدى رسائله الي: أنني حزين على حال أمتي، ولكنني لا اعرف اليأس رغم اني بلغت من العمر عتيا. كانت آخر رسالة كتبتها اليه لم تصله، ففي يوم تشييعه الى مثواه الاخير كان حاملها يتصل هاتفيا بداره في تونس ويعجب مَنْ تلقى المكالمة من هذا التوقيت ويرسل من يتسلم الرسالة ومرفقاتها أربعة أجزاء من كتاب الدكتور حامد عمار «همومنا التربوية» وكان رحمه الله قد طلبها مني. لقد وصلت اذن بعد فوات الأوان.

طالبني في احدى رسائله البحث عن صورة له مع الرئيس جمال عبد الناصر خلال لقاء لهما منتصف شهر كانون الثاني (يناير) من عام ١٩٥٤، بالقاهرة وكان رحمه الله قد حضر اجتماعات مجلس الجامعة وتقدم بمشروعه للاتحاد العربي. ونشرت مجلة «المصور» القاهرية مقالا عن تلك الاجتماعات مع بعض الصور التذكارية منها تلك الصورة، وبذلت جهدي حتى حصلت عليها وارسلتها له وكم كان سعيدا باستلامها وقد وضعها داخل اطار كما اخبرني الى جانب صوره مع زعماء العالم الذين التقى بهم في مشوار عمره المديد.

رحم الله ابا العباس انسانا ومفكرا وسياسيا مخلصا فيما اجتهد فيه لخدمة وطنه غيورا في زمن عز فيه الغيارى!

وعزاؤنا فيك اصدق ما قيل:

انما الدنيا كظل زائل

او كضيف بات ليلا فارتحل

وسلام عليك مع الصابرين.

تأبين الجمالي في الصحف الاجنبية

أفردت أمهات الصحف الاجنبية في بلاد عديدة مقالات ضافية في تأبين الفقيد الدكتور محمد فاضل الجمالي. ولما كانت الاحاطة بكل ما نشر غير متيسرة والمجال لا يتسع له فقد رأينا الاكتفاء بتلخيص وترجمة ما كتبته كبريات الصحف البريطانية الصادرة في لندن لا سيما وانها اتسمت الى درجة كبيرة بالموضوعية والشمول. وهذه الصحف هي: «الكارديان»، «التايمز»، «الديلي تلغراف»، «والأنديبندنت»، (ساهمت في الترجمة والتلخيص السيدة علياء الدلي سليم):

وقد حاولنا اختيار أهم ما ورد في كل صحيفة واجتناب التكرار، وذلك كما يلي:

١ ـ نشرت «**الكارديان**» في عددها الصادر يوم الجمعة ٣٠ (مايو) ١٩٩٧ مقالاً تحت عنوان «فاضل الجمالي ـ صوت آخر من العراق» بقلم (خالد المبارك) جاء فيه:
ان فاضل الجمالي الذي توفي بتونس عن ٩٤ عاماً تولى رئاسة الوزارة مرتين في العراق وكان وزيراً للخارجية عندما أطيح بالعهد الملكي في العراق عام ١٩٥٨، وكان ايضاً آخر الموقعين الاحياء على ميثاق هيئة الامم المتحدة في (سان فرانسيسكو) عام ١٩٤٥.
ولد الجمالي في (الكاظمية) وهي مدينة غالبية سكانها من المسلمين الشيعة، بالقرب من بغداد. وتلقى فيها دراسة دينية وعربية أصيلة وكان والده (الشيخ عباس) رجل دين. ثم حصل على بعثة دراسية الى (الجامعة الامريكية ـ بيروت) ثم انتقل منها الى (جامعة كولومبيا ـ نيويورك) وحصل منها على شهادة الدكتوراه في التربية والتعليم عام ١٩٣٢.
وكان لأفكار الفيلسوف والمربي وعام النفس (جون ديوي) اثر كبير عليه، خاصة من حيث العلاقة بين التعليم الجامعي والحياة العامة.
وبعد عودته من امريكا تولى مهام تعليمية وتربوية في العراق ثم نقلت خدماته الى وزارة الخارجية عام ١٩٤٣ ومنها اختير عضواً في الوفد العراقي للتوقيع على ميثاق هيئة الامم المتحدة ثم للحضور في اجتماعاتها.. وتولى وزارة الخارجية ثم رئاسة الوزارة.
وفي اواسط الخمسينات لعب دوراً رئيساً في عقد «ميثاق بغداد» وهو حلف اقليمي عملت الدول الغربية على انشائه ليكون رادعاً للتوسع السوفييتي.. ولكنه أصبح في نظر العرب القوميين، بتأثير الثورة الناصرية في مصر ٢٣ (يوليو) ١٩٥٢ رمزاً للنفوذ الاستعماري الغربي. واعتبره شيوعيو المنطقة اداة في الحرب الباردة هدفها محاصرة الاتحاد السوفييتي، فشّوه الكثيرون سمعة الجمالي ونعتوه بالخيانة والرجعية بالمقارنة مع (عبد الناصر) الذي ارتفعت شعبيته على موجة العداء للغرب.. ولكن المفاجأة وقعت في عام ١٩٥٦ اثناء ازمة (السويس) عندما تواطئ البريطانيون والفرنسيون والاسرائيليون لغزو مصر على اثر قيام عبد الناصر بتاميم قناة السويس، حيث وقف الجمالي، من غير سابق انذار، وأعلن ادانة القوات الغازية ومساندة مصر.
ولما أستولى (اللواء عبد الكريم قاسم) على السلطة في العراق في تموز (يوليو) ١٩٥٨ في حركة دامية... أُلقي القبض على الجمالي وقدم للمحاكمة أمام محكمة (المهداوي) المسرحية.. وحكم عليه بالاعدام ثم ابدل حكم الاعدام بالسجن خمسة وخمسين عاماً بعد وساطة للعفو عنه من قبل عبد الناصر ومحمد الخامس ملك المغرب.
وفي العام ١٩٦١ اعفى الجمالي من الحكم بالسجن واطلق سراحه، وقبل دعوة من الرئيس (بورقيبة) رئيس الجمهورية التونسية آنذاك. وعاد الى التدريس الجامعي استاذاً لفلسفة التعليم في الجامعة التونسية، واصبح له تأثير كبير على اجيال من الطلاب. ويوجد في تونس شارع يحمل اسمه في حين لا يوجد شارع باسمه في بغداد.
كان الجمالي وطنياً عراقياً مناوئاً للطائفية، عمل جاهداً للحد من الخلافات بين الشيعة

والسنة. وكان يقول لاصدقائه انه (عراقي عربي مسلم). فلم يضع (شيعيته) اولاً بل انه لم يشر اليها.
كان الجمالي (الى جانب تمكنه من لغته العربية) يتكلم الانكليزية والفارسية والتركية وعلى معرفة جيدة بالفرنسية. وقد الف عدة كتب من أهمها «رسالة مفتوحة الى الشعب العراقي عام ١٩٦٩»، وكتاب «الأمة العربية الى اين؟» وكتبت عنه عدة كتب منها كتاب (هاري الموند) ـ وعنوانه صورة شخصية لمحمد فاضل الجمالي) المنشور عام ١٩٩٣ بالانكليزية.
ان للجمالي ولد معوّق تحت العلاج في اسكوتلندا كان يأتي لزيارته سنوياً وولد آخر خبير بالنفط، وولد ثالث استاذ في علم النبات في جامعة اليرموك بالاردن.
اما زوجته السيدة (سارة) كندية الأصل المولودة في امريكا الشمالية فانها اصبحت عراقية الجنسية واسست عدة جمعيات في العراق لمساعدة المعوقين وبعد عام ١٩٦١ أسست مثلها في تونس، وهي تخلفه مع اولادها الثلاثة.
محمد فاضل عباس الجمالي، سياسي ومربي ولد في ٢٠ ابريل ١٩٠٣ وتوفي يوم ٢٤ (مايو) ١٩٩٧.
٢ ـ ونشرت صحيفة **«الديلي تلغراف»** مقالاً من قلم التحرير (بدون توقيع) بتاريخ ٣٠ حزيران ١٩٩٧ تحت عنوان «محمد فاضل الجمالي ـ رئيس وزراء عراقي درس في امريكا وحكم عليه بالاعدام بعد انقلاب عسكري» ومن ابرز ما جاء في المقال ما يأتي:
«... وكان الجمالي عند قيام الانقلاب العسكري في العراق عام ١٩٥٨ قد اصبح شخصية محترمة في المحافل الدولية ومدافعاً قوياً عن دول العالم الثالث وعن المُثل الاسلامية العليا كما انه كافح كفاحاً شديداً من أجل حل عادل للقضية الفلسطينية».
واضافت الصحيفة:
«ان دوائر الاستخبارات البريطانية كانت قد خلطت بين الجمالي وشخص آخر يحمل اسماً مشابهاً لاسمه، كان قد ذهب متحمساً للقاء (هتلر). وحتى بعد اكتشاف هذا الخلط، ظل الجمالي معتبراً لدى الدوائر البريطانية كقومي عربي بارز لا ترتاح اليه الدوائر البريطانية وتعمل لابعاده مااستطاعت الى ذلك سبيلا..».
٣ ـ نشرت صحيفة **«التايمز»** في ٢٢ (مايو) ١٩٩٧ مقالاً من قلم التحرير دون توقيع، بعنوان «محمد فاضل جمالي» جاء فيه:
نشأ الجمالي في بيئة شيعية ضيقة ولم يكن له سوى اتصال محدود بابناء السنة. وفي بيروت اتسعت صلاته لتشمل الى جانب الطلاب المسلمين في الجامعة، اليهود والمسيحيين من مختلف الطوائف.. ومن ذلك الحين أتقن الجمالي فن تكوين الصداقات والاحتفاظ بها، والتفاهم مع الآخرين على اساس الاحترام رغم الخلافات السياسية. وظل الى آخر ايام حياته يؤمن بأن التعاون بين (اهل الكتاب) ضروري للسلام العالمي. واثناء دراسته في جامعة كولومبيا تعرّف على دائرة أوسع من الأصدقاء كان من ضمنهم الشاعر الهندي

(طاغور). وفي جامعة شيكاغو التقى بـ (سارة باول) التي أصبحت زوجته فيما بعد. وظلت عنايتها المخلصة تساعده في تحمل اعباء حياته العامة واثناء سجنه في بغداد ثم لأكثر من ثلاثين سنة في منفاه في تونس.

في عام ١٩٥٥ انعقد مؤتمر للدول الآسيوية والافريقية المستقلة في (باندونغ ـ اندونيسيا) وحضره نهرو وعبد الناصر وشوان لاي وكان الاجتماع يهدف الى تأسيس (منظمة عدم الانحياز) وحضر الجمالي مندوباً عن العراق، فتكلم بقوة ضد «الاستعمارالجديد» من قبل الكتلة الشيوعية التي شبهها بالامبريالية الغربية.. ونزل خطابه كالصاعقة وادى الى رد عنيف من قبل (شوان لاي).. ولكن الجمالي استند الى القيم العليا قائلاً «اذا أردنا ان نجعل من العالم وحدة متكاملة دون اعتبار لمعسكر شرقي ومعسكر غربي فعلينا ان نعمل بموجب قواعد (التسلح الخلقي) التي تدعو الى ان تتقارب الامم مع بعضها البعض بروح التواضع وبقلوب نقية من الحقد والكراهية وان نعترف جميعاً باخطائنا وان نعمل للانسجام المتبادل والسلام». كانت المناقشات حادة وانتهى المؤتمر الى قرار ينص على «ان الاستعمار بجميع مظاهره شر يجب الخلاص منه بسرعة».

من اهم الكتب التي الفها الجمالي كتاب «رسائل حول الاسلام» الذي كتبه في السجن موجهاً الى ولده (عباس) الذي كان لا يزال طالباً في الجامعة، وطبع عام ١٩٦٥. وفي الاجتماعات الدولية مثل المؤتمر الاسلامي في (مكة) عام ١٩٦٥ الذي كان فيه رئيساً للجنة الثقافية وفي مشاركته السنوية في اجتماعات (حركة التسلح الخلقي) في سويسرا كان مدافعاً لا يعرف الكلل عن (وحدة الانسانية).

لقد عانى الجمالي كثيراً من حكومة بلاده ومن قسوتها التي لم يتغاض عن قسوتها، الا أنه اعرب عن اسفه واساه على حجم الدمار الذي سببته حرب الخليج مقارناً ذلك بالتساهل الذي عومل به آخرون تجاوزوا على قرارات هيئة الامم المتحدة.

وكان يشعر ان بريطانيا قد عرقلت في الماضي التسوية العادلة للنزاع العراقي ـ الكويتي.

وفي حين كان الجمالي عنيفاً في مناقشاته الساسية حتى النهاية، كان يبعث في نفوس الحلقة الواسعة من اصدقائه الدفء واللطف كأخٍ كبير حميم.

وقد انهالت على الجمالي مشاعر التكريم من عدة حكومات منها المانيا والاردن والمغرب وتايوان والفاتيكان.

٤ ـ نشرت صحيفة «الاندبيندنت» في عددها الصادر يوم الثلاثاء ٣ / ٦ / ١٩٩٧ مقالاً تحت عنوان «محمد فاضل جمالي» بقلم (الان رش) جاء فيه:

لقد كرّس الجمالي ٢٩ عاماً من حياته كسياسي ومربي ودبلوماسي لمهمة تطوير العراق كدولة حديثة. ولكن في عام ١٩٥٨ وقعت المذبحة التي ذهبت ضحيتها العائلة الملكية الهاشمية وانتقل العراق الى عهد من القلق والقسوة والاضطراب يذكر بعهد الباشوات المماليك الذي ساد العراق في اوائل القرن التاسع عشر.

وقد اصاب الجمالي ما اصاب قادة العهد الملكي فقدّم للمحاكمة وصدر عليه حكم

بالاعدام ولكن الحكم استبدل بالسجن وقضى الجمالي ثلاث سنوات سجيناً حتى عام ١٩٦١ حيث أطلق سراحه بعد وساطة شخصيات عالمية كان في مقدمتها الملك محمد الخامس ملك المغرب، وداغ همرشولد والبابا يوحنا الثالث عشر.

عندما يتحدث الجمالي عن حياته ونشاطاته كان يؤكد على ان التعليم هو مهنته المفضلة... ولما تولى الملك فيصل الاول عرش العراق أدرك أهمية التعليم في بناء دولة مستقلة، ولاحظ مواهب الجمالي فتبنى ايفاده للدراسة العليا في الجامعة الامريكية في بيروت ثم في جامعة كولومبيا في نيويورك حيث نال شهادة الدكتوراه.

ومن المعروف عن الجمالي انه بعد عودته من السنة الاولى من الدراسه في بيروت اثار ضجة في مدينته الكاظمية بتوزيع منشورات تدعو الى تحرير المرأة ورفع الحجاب.

وفي عام ١٩٢٩ تعرّف على (ساطع الحصري) الذي كان مسؤولاً عن ادارة التعليم وكان مهتماً بتأسيس نظام تعليمي يقوم على مبادئ القومية والتقدم التي اقتبسها من المفكرين الالمان وخاصة يوهان فيختة. وقد ارتاح (الحصري) لافكار الجمالي وتأييده للكفاح الفلسطيني ضد الصهيونية ومقاومته لضغوط المستشارين البريطانيين الذين كانوا يريدون تطبيق نظام تعليمي في العراق شبيه بالنظام البريطاني الذي يعتمد على المدارس الخاصة ولكنه اصطدم مع الحصري فيما بعد على مبادئ تربوية وحلّ محله مديراً عاماً للتربية والتعليم فقد كان الحصري يريد تأجيل التعليم العام الى (أن يتم تكوين طبقة متنورة) بينما أصر الجمالي المتأثر بالمثل الامريكية على توفير التعليم للجميع بما في ذلك القبائل البدوية التي كان تعليمها موضوع أطروحته للدكتوراه.

وبعد انتقاله الى العمل الدبلوماسي والسياسي اكتسب الجمالي ثناءً وتقديراً على مواقفه الحماسية في الدفاع عن القضايا، الفلسطينية والاريترية والتونسية وغيرها من الحركات المناوئة للاستعمار كلما اثيرت هذه القضايا في مناقشات هيئة الأمم المتحدة.

وعندما تولى رئاسة الوزارة عام ١٩٥٣ و١٩٥٤ استطاع الجمالي أن ان يجمع بذكاء بين مبادئه الانسانية وأهمية الأصلاحات الداخلية كوسيلة للوقوف امام الشيوعية. فقد اعلن في منهاج وزارته مشاريع لتوسيع الخدمات الاجتماعية وزيادة اجور الموظفين والعمال وتشجيع ملكية الاراضي لصغار الفلاحين.. ولكن هذا المنهاج اصطدم بمقاومة من قبل رجال الصناعة ورؤساء القبائل وكبار الملاكين والساسة.

وبالرغم من نشأته الدينية في بيئة شيعية كان الجمالي يشجب بقوة التمييز بين المسلمين السنة والشيعة. ولما أصبح مديراً عاماً للتربية والتعليم وضع مقاييس موحدة للتعليم تطبق على الجانبين.

وبوصفه عربياً قومياً كان الجمالي يدعو لنبذ الطائفية والقبلية.

ولا شك ان الجمالي عندما كان يستعرض احوال العراق والاحداث الجارية فيه، وهو في آخر ايامه كان يشعر بالحزن والاسى كما يشعر الملك فيصل الاول الذي شكى من تفكك الشعب العراقي ودوافع الحقد والحسد والقبلية والطائفية والعنصرية التي تفرق ابنائه

وتدفعهم الى الفوضى والقسوة ضد بعضهم البعض.

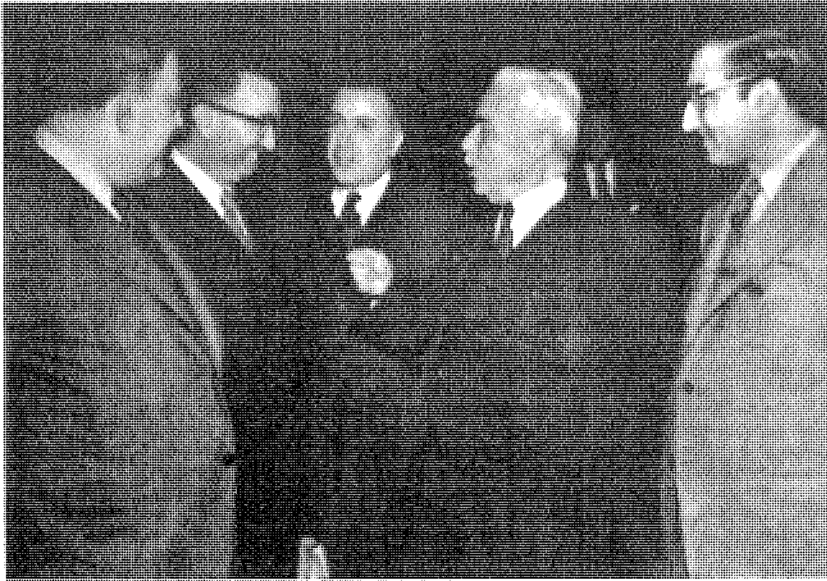
ترجمة وتلخيص ع. غ. د.

ان مقالات الصحف العربية المنشورة هنا لا تمثل إلا جزءً مما نشرته الصحف العربية ولكن الالمام بها فضلاً عن ضمها الى هذا الكراس لم يكن متيسراً لنا. ولذا نعتذر للسادة الذين وردتنا بعض مقالاتهم وكتاب المقالات التي اطلعنا عليها ولم نستطيع نشرها

لقد نشرت المقالات حسب النصوص الواردة في الصحف المشار اليها. ولم تجر الا تعديلات لغوية طفيفة عليها، مع تعليق واحد على أحدها. وهيئة التابين غير مسؤولة عن الآراء والمعلومات الواردة فيها ومسؤولية ذلك تقع على اصحابها. وليس لنا في الختام الا ان نشكرهم جميعاً على الجهد الذي بذلوه والمساهمة التي قدموها في ذكرى رجل خدم امته ووطنه بكل ما يملك من قوة وما هباه به الله من موهبة.



الدكتور الجمالي مع الرئيس ايزنهاور في القصر الابيض ـ ١٩٥٤



الدكتور فاضل الجمالي في حديث مع فارس الخوري مندوب سوريا
والسيد عدنان الباجه جي ـ العراق ـ والسيد فريد زين الدين ـ سوريا

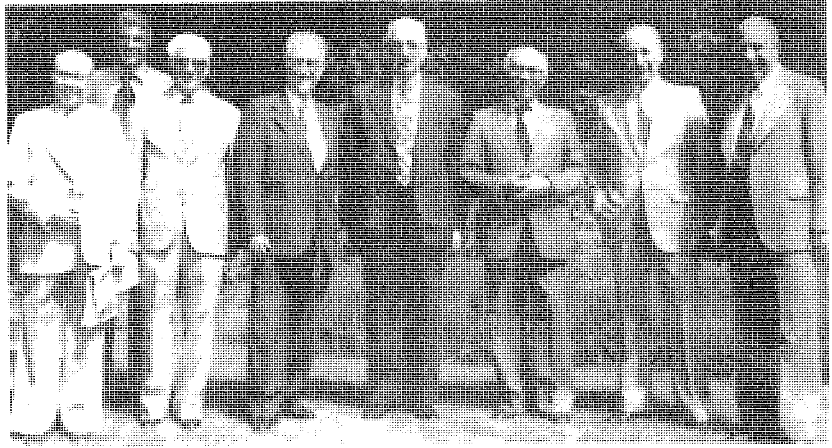


الدكتور فاضل الجمالي في حديث مع السر ظفرالله خان
مندوب الباكستان

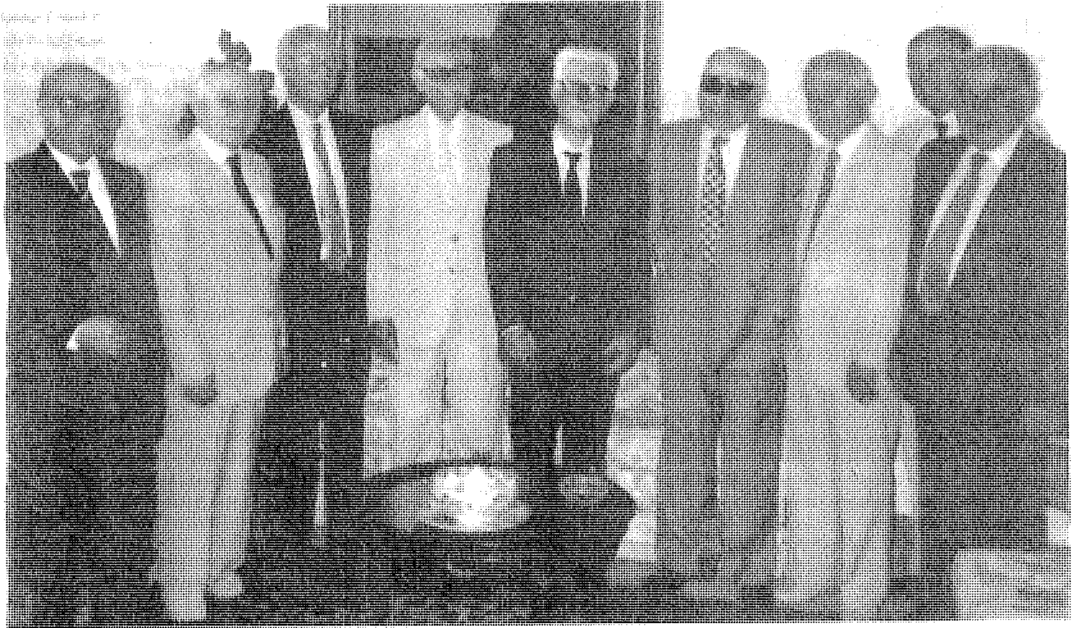


الدكتور الجمالي مع السفير البريطاني مكنزي والسيد الان ثورنهيل

في مقر حركة التسلح الخلقي ـ كوسويسرا ـ ١٩٨٨



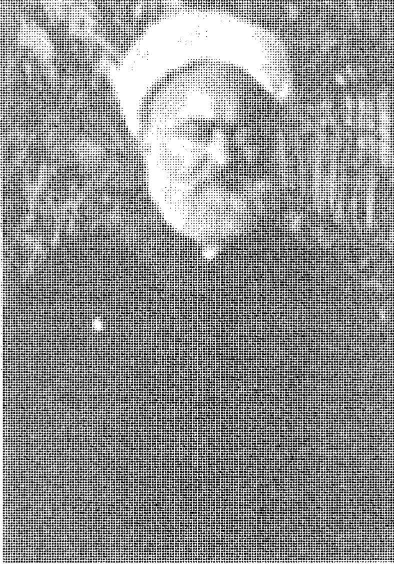
هاشم المدامغه، رشدي الجلبي، عبد الكريم الازري،عبد الهادي الجلبي،الدكتور الجمالي، عبد الرسول الخالصي، الدكتور صالح البصام،في دار جواد الجلبي ـ انكلترة ١٩٨٤



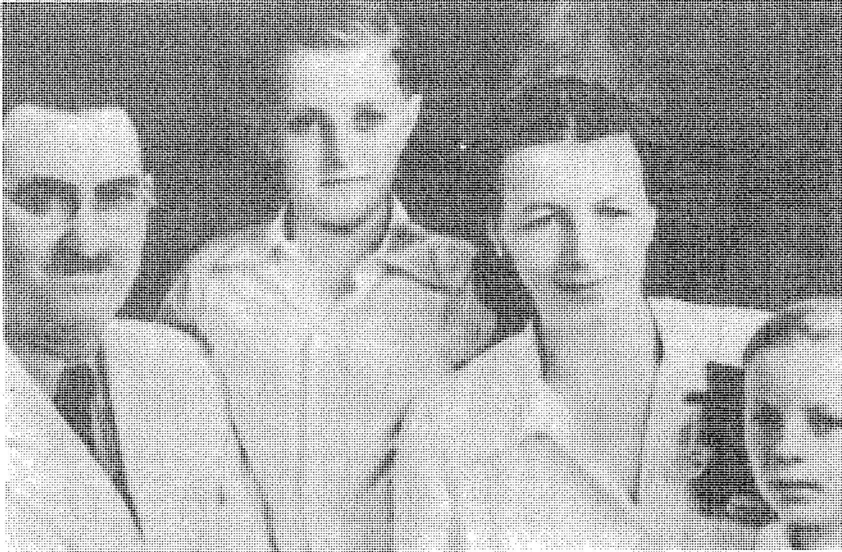
عصام الازري، اسامه الجمالي، صالح الجلبي، حِسن الجلبي، الدكتور الجمالي، عبد الغني الدلي، امير رحمة الله، عبد الكريم الازري، صالح البصام، في دار عبد الكريم الازري ـ لندن ١٩٩٦.



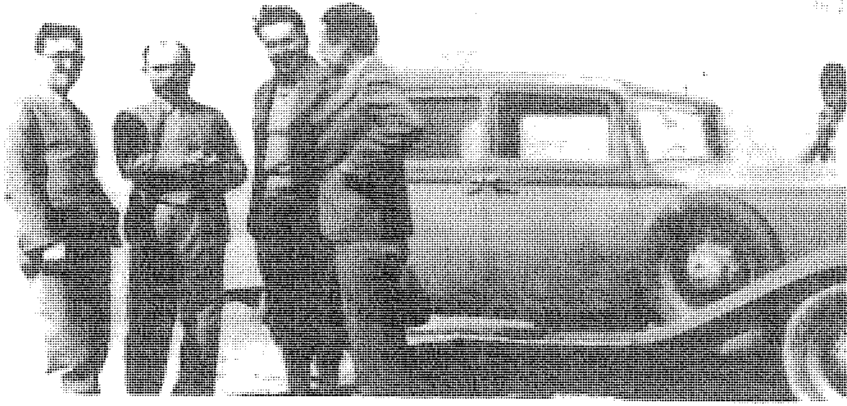
والدة الدكتور فاضل الجمالي
العلوية خديجة



والد الدكتور الجمالي الشيخ
عباس الجمالي



الدكتور الجمالي وعقيلته السيده ساره بوويل الجمالي
مع ولديهما اسامه وعباس



اكرم زعيتر، فريدزين الدين، عبد الكريم الازري، الدكتور فاضل الجمالي
في مزرعة (ابو هاون) قضاء الشطرة/الناصرية



عبد المجيد محمود، فريد زين الدين، اكرم زعيتر، الدكتور الجمالي
عبد الكريم الازري، السيد عبد المهدي من وزراء العهد الملكي في مزرعته
(ابو هاون) قضاء الشطرة/الناصرية

محتويات الكتاب